مقدمة الجمهرة
لابن دريد (ت٣٢١هـ)
قراءة لغوية نقدية

دكتور

حسن محمد حسن الباجوري

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله الذي برأ النَّسَم، وأفاض النِّعَم، ومنح القِسَم، ذي العزة القاهرة، والقدرة الباهرة، والآلاء المتظاهرة، له الحمد دائبا، والشكر واصبا، والصلاة والسلام على النبي المجتبى من خليقته، والمهتدي بطريقته الهادي إلى معالم دين الله، وصفوته من العباد، وشفيع الخلائق في المعاد، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةُ الأَبْرَارَ، صلاة دائمة باقية بقاء الليل والنهار.

وبعـــد

فلقد عُرف ابن دريد بغزارة علمه، وحدّة ذكائه، وملكة حفظ نادرة، فنال شهرة واسعة، وأصبح حجة في اللغة، رغم ما وُجّه إليه من تهم أخلاقية، وتشكيكاً في قدرته العلمية، إلا أنه أضفى على اللغة أثرا علميا طيبا، وخلَّف لنا تراثا رحبا، وفكرا لغويا ثاقبا، حُفِظت به كلمات اللغة ومفرداتها.

وقد استوقفني سفره الجليل " جمهرة اللغة " الذي يضم – بين ثناياه علما غزيرا، وفكرا كبيرا، ولا يستطيع أحد أن ينكر أو يجحد جهد ابن دريد في النهضة المعجمية، والرقي بمستوى المعاجم العربية، حيث تبوأ مكانة مرموقة بين المعاجم الشهيرة.

وقد خصصت دراستي حول جانب من جوانب (الجمهرة) المتعددة، فوقع اختياري على مقدمته التي تضم موضوع الدراسة والبحث، وهو: "مقدمة الجمهرة لابن دريد (ت٣٢١هـ).. قراءة لغوية نقدية " فركزت على قراءتها قراءة علمية جادة بتؤدة واطمئنان، ثم استخرجت منها جميع القضايا اللغوية التي تستحق الدراسة والمعالجة، وكان جلّ ما يهمني هو: إظهار الجوانب التي تُحْمَدُ لابن دريد فيها. وكذا إبراز كل ما يستحق النقد أو المخالفة، مبرزاً الصواب ما أمكن إلى ذلك سبيلا، مدعّما ذلك بآراء القدماء والمحدثين في هذا المجال.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تشتمل على مقدمة وتمهيد ومباحث سبعة:

Scanned with CamScanner

فتناولت في التمهيد: نبذة عن حياة ابن دريد وآثاره العلمية، ومكانته بين علماء عصره، ثم انتقلت إلى معجم " جمهرة اللغة " وتحدثت عن الهدف الذي يرمي إليه مؤلفه، ومنهجه، وسر تسميته بالجمهرة، مع بيان كيفية البحث فيه.

المبحث الأول: خصصته للحديث عن عدد حروف العربية، مبرزاً رأى ابن دريد ورأى القدماء والمحدثين في هذا الصدد، وكذا الحروف التي اختصت بها العرب دون غيرها من الأمم الأخرى.

وكان المبحث الثاني بعنوان: " الأصوات الفرعية غير المستحسنة "، وحروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، وما تركه ابن دريد منها، ثم أبرزت الحروف الفرعية المستحسنة والتي لم يشر إليها ابن دريد مطلقا.

المبحث الثالث: وضم الحديث فيه عن: باب صفة الحروف وأجناسها، وتناولت فيه التقسيم الخاص -لذلك- من وجهة نظر ابن دريد (نفسه) من حروف مصمتة ومذلقة، وما ينضوي تحتهما من أصوات، فعرضت لها وناقشتها مناقشة علمية، مبينا آراء اللغويين في هذا الشأن.

المبحث الرابع: وفيه تحدثت فيه عن مخارج الحروف كما رواها ابن دريد عن طائفة من النحويين، مبرزاً أهم ما وجّه إليهم من نقد مخالفة.

المبحث الخامس: وفيه تناولت صفات الحروف- كما أشار إليها ابن دريد- كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، وحروف المد واللين، وحروف الإطباق، بيد أني لاحظت - في هذا الصدد - قد أغفل الحديث عن صفتي الاستعلاء والاستفال، فقدمت لهما في ضوء ما ذكره القدماء والمحدثون.

وجاء المبحث السادس: ليضم عقد مقارنة بين ابن دريد، والخليل، وسيبويه، وابن جني، وموقف بعض النحويين، من حيث ترتيب الحروف، وأوجه الاتفاق والاختلاف في ذلك.

أما المبحث السابع والأخير فجاء بعنوان " قوانين في تركيب الكلمة " وتناولت فيه: بناء الكلمة من حيث: اجتماع حروف تقاربت مخارجها، أو كانت من مخرج واحد، ثم الحديث إجمالا عن الحروف الزائدة، وإبدال السين صاداً أو

العكس، وإبدال الصاد زايا، وأثر ذلك في القراءات القرآنية واللهجات العربية.

وقد توخيت في كل ما قدّمت له يسر العرض، وسهولة التناول وقرب المأخذ، وأخلصت النية في السعي لما أعتقد أنه صواب، وبذلت غاية الجهد ما أمكن، وجعلته ثمرة مجهودي، فَلْيُستَصوَب للمرء اجتهاده، ولْيُعْذَر في تقصيره وخطئه.

ومن باب عزو الفضل لذويه أعرب - هنا - جزيل شكري وتقديري لأستاذي الفاضل الدكتور / الموافي الرفاعي البيلي، فهو- من بعد الله تعالى- صاحب الفضل في إنجاز هذا البحث وإتمامه، إذ كانت فكرته مما جادت قريحته، فله اليد الطولى في إخراجه إلى حيز النور والوجود، فله من الله المثوبة وخير الجزاء.

والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا، وسببا لمغفرة زلاتنا يوم أن نلقاه.. وعلى الله قصد السبيل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وسلم.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د/ حسن محمد حسن الباجوري

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

Scanned with CamScanner

تمهيـد : ابن دريد... حياته وآثاره

نسبـــــه:

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد[١] بن عتاهية بن حنتم بن حمامي ابن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة... وينتهي نسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي اللغوي البصري.

مولده:

ولد بمدينة البصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين من الهجرة[٢]، وذلك في خلافة المعتصم، فقد كانت بغداد والبصرة في ذلك الوقت منار الدنيا تشع حضارتهما على العالم كله، وبالبصرة تأدب وعلّم اللغة وأشعار العرب، وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار [٣].

منزلتـــه العلمية بين علماء عصره.

امتلك ابن دريد زمام العلم في عصره، حيث تأدّب بالبصرة، وتعلّم على أيدي علمائها، فنبغ وتفوّق في ميادين كثيرة في مجالات شتى، ولذا يقول عنه أبو الطيب اللغوي: " ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد، وتصدّر في العلم ستين سنة "[٤].

ووصفه المسعودي بقوله: "... وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد منها، فأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كل مذهب، فطورا يجزل وطورا يرق، وشعره أكثر من أن تحصيه أو يأتي عليه

---

(١) ينظر في ترجمته: معجم الأدباء ١٨/ ١٢٧، البداية والنهاية ١١/ ١٧٦، اللباب في تهـــذيب الأنساب ١/ ٤٩٩، تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٣٩، بغية الوعاة ١/ ٧٦، شذرات الذهب ٢/ ١٨٩، إنباه الرواة ٣/ ٩٢، مروج الذهب ٤/ ٣٢٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٠، طبقات القراء ٢/ ١١٦، مراتب النحويين ١٣٥.

(٢) طبقات الشافعية ٣/ ١٣٨، المزهر ٢/ ٤٦٥.

(٣) إنباه الرواة ٣/ ٩٢، معجم الأدباء ١٨/ ١٢٧.

(٤) مراتب النحويين ص ١٣٦.

كتابي هذا "[١] كما: " كان من أكابر علماء العربية مقدما في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم "[٢]، ولعل هذا ما جعل أهل زمانه يطلقون عليه لقب " أعلم الشعراء وأعلم العلماء "[٣].

ويروي أن ابن دريد كان يحفظ دواوين العرب، مما يدل على عبقرية فذة، ونكاء نادر، وهذا ما أكده الخطيب البغدادي بقوله: " كان أبو بكر (يعني ابن دريد) واسع الحفظ جدا، ما رأيت أحدا أحفظ منه، كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ويحفظها، وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له "[٤].

وهكذا كان ابن دريد واسع العلم، غزير المعرفة في اللغة والأدب والشعر وحفظ دواوين العرب، مما يدل على عبقرية عظيمة، جمعت من ألوان العلماء العربية ما هيّأته لحمل الأمانة اللغوية، فذاع صيته بين علماء عصره، وإن كان هناك محاولات للتشكيك في قدرته العلمية، غير أنه حظى بمنزلة عالية ومكانة مرموقة عند العلماء والأمراء والخلفاء.

شيوخـــه:

لقد تلقى ابن دريد العلم على أكابر علماء عصره[٥]... ومن أهمهم:

١- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٠هـ).

٢- أبو عثمان بن سعد بن هارون الأشناندانى (ت٢٥٦هـ).

٣- أبو الفضل العباسي بن فرج الرياشي (ت٢٥٧هـ).

٤- عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي (كان حيا سنة٢١٦هـ) [٦].

٥- الحسين بن دريد (عمه)، حيث روى عنه هذه الرواية: " قال ابن دريد، كان

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣٢٠.

(٢) نزهة الألباء ص ٢٥٧.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٦.

(٥) مقدمة الاشتقاق ص ٥-٦.

(٦) الانتصار لابن دريد في مواجهة الأزهري د. نور الشاذلي ص ٧.

Scanned with CamScanner

أبو عثمان الأشناندانى معلمي، وكان الحسين بن دريد يتولى تربيتي، فإذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه، فدخل عمي يوما وأبو عثمان المعلم وبين قصده الحارث بن حلزة التي أولها:

آذنتنا ببينها أسماء ∴ .....

فقال عمي: إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا، ثم دعا بالمعلم ليأكل معه فدخل إليه فأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة، فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة، فخرج المعلم، فعرفته ذلك، فاستعظمه، وأخذ يعتبره علي، فوجدني قد حفظته، فدخل إلى عمي فأخبره، فأعطاني ما كان وعدني به[١]"، وإن كان في هذا الخبر بعض المبالغة، فقد ورد على لسان العرب كثير من الإشادة بعلمه، مما لا يدع مجالاً للشك في غزارة علمه وقوة حافظته.

تلاميـــذه:

يعد ابن دريد من الأئمة الذين يشار إليهم بالبنان، ومن اللغويين النابهين، ومن ثمّ تخرّج على يديه كثير من العلماء الأفذاذ، ومن أهمهم [٢]:

١- أبو سعيد السيرافي. ٢- أبو الفرج الأصبهاني.

٣- ابن خالويـــه. ٤- أبو الحسن الرّمّانـــي.

٥- أبو القاسم الزجاجي.

أهم نتاجـــه العلمي:

قدّم ابن دريد فكراً لغويا، وتراثاً ضخما، يستحق الذكر والتمجيد، وعلى رأس هذه المؤلفات العلمية (جمهرة اللغة) فهو أعلاها شأنا، وأشرفها ذكرا، وتجدر الإشارة – هنا- أن نذكر منها:

١- الجمهـــرة. ٢- الاشتقاق.

٣- صفة السحاب والغيث وأخبار الرواة وما حمدوا من الكلا.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٦، معجم الأدباء ١٨/ ١٢٩، إنباه الرواة ٣/ ٩٤، تـــاريخ آداب اللغـــة العربية، بروكلمان ٢/ ١٧٨ – ترجمة د. عبد الحليم النجار – طبعة دار المعارف بالقاهرة.

(٢) مقدمة الاشتقاق ص ٥- ٦.

Scanned with CamScanner

٤- المجتنى. ٥- أدب الكاتب.

٦- الأمالـــي. ٧- غريب القرآن.

٨- فعلت وأفعلت. ٩- لغات القرآن.

وغير ذلك كثير [١].

وفـــــــاتـــه:

توفى هذا العالم الجليل في يوم الأربعاء لثنتي عشرة ليلة بقين من شهر شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [٢].

وحين وافته المنية، حملت جنازته إلى مقبرة الخيزران، ليدفن بها، وكان ذلك في يوم كثر فيه المطر، وإذْ بجنازة أخرى مع بعض الناس، أقبلوا بها من ناحية باب الطاق، فنظروا فإذا هي جنازة أبي هاشم الجبائي، فقال الناس: "مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي "[٣].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٧، إنباه الرواة ٣/ ٩٥.

(٢) السابق / ذاته.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٧، إنباه الرواة ٣/ ٩٥، والتراجم التي سبق ذكرها.

Scanned with CamScanner

الجمهرة في سطور:

تمهيد:

حدد ابن دريد اسم كتابه في مقدمته، فقال: " هذا كتاب جمهرة الكلام واللغة[١] "، وبني معجمه على أسس مدروسة، وتخطيط جديد لم يسبق إليه، مخالفا بذلك من سبقه من اللغويين في نظام الترتيب، المتمثل في جمع تقاليب المادة ووضعها في باب أول الحروف ترتيبا ألفبائيا، وقصد من ذلك تقديم عمل علمي عظيم، خدمة للقرآن الكريم، وحرصا على لغته الرائدة.

الهدف من تأليف الجمهـــرة:

كان لابن دريد هدف في تأليف هذا المعجم، يشتمل على: " جَمْعٍ للألفاظ المعروفة، واطِّراحٍ للغريب الوحشي المستنكر "[٢]، يعبر عن ذلك ابن دريد بقوله: " وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر"[٣]، فضلا عن الصعوبة التي تكتنف البحث في مدرسة التقليبات الصوتية، التي تزعمها الخليل بن أحمد، فأراد بذلك تيسير مهمة البحث عن معاني الألفاظ، يقول ابن دريد: "... وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي – رضوان الله عليه– كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته... ولكنه – رحمه الله – ألّف كتابا مشاكلاً لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحدة أذهان أهل دهره "[٤].

النظام الذي سار عليه ابن دريد في معجمـــه:

اتبع ابن دريد منهجا في معجمه يتمثل فيما يلي:

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٤.

(٢) ينظر في ذلك: المعجم العربي فكراً وتأليفاً د. إبراهيم أبو سكين ص٦٧، من قضايا المعجم العربي د. الموافي الرفاعي البيلي ص ٥٤.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٤، مناهج البحث في اللغة والمعاجم د. عبـد الغفـار هـلال ص٢٣٧، المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص ٥٦.

(٤) مقدمة الجمهرة ١/ ٣.

أولاً: نظر إلى الحروف الأصلية، وجرّدها من الزوائد.

ثانياً: اتبع نظام التقليبات الأبجدية، حيث جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة مهما اختلف ترتيبها تحت نطاق واحد، ووضعها تحت أول الحروف ترتيباً... فمثلا: الكلمات المكونة من الراء والباء والكاف، وهي: "ربك – ركب – كرب – كبر – برك – بكر " يبحث عنها في كلمة مبدوءة بالباء، لأنها أول الحروف ترتيبا، فيبحث عنها في بكر أو برك.

ثالثاً: راعى نظام الكمية، فبدأ بالثنائي، ثم بالثلاثي الصحيح، ثم بالمعتل، ثم بالرباعي الأصلي، ثم بالملحق به، ثم بالخماسي الأصلي، وختم الكتاب بباب النوادر لقلة ما جاء بها(١).

رابعاً: أحيانا كان ابن دريد ينبه – في جمهرته – على المهمل، ففي مادة (ث ص ض) يقول: أهملت الثاء مع الصاد والضاد "(٢).

ومن ثم: فإن ابن دريد أبرز منهجه الذي اتبعه في مقدمة جمهرته، فيقول: " فمن نظر في كتابنا هذا فآثر التماس حرف ثنائي فليبدأ بالهمزة والباء، إن كان الثنائي باء ثقيلة، أو الهمزة والتاء إن كان الثاني تاء، وكذلك إلى آخر الحروف. وأما الثلاثي فإنا بدأنا بالسالم (الصحيح)... ومن أراد بناء يلحق بالثلاثي بحرف من الحروف الزوائد فإنا قد أفردنا له بابا في آخر الثلاثي.

فأما الرباعي فإن أبوابه مجمهرة على حدتها... ثم جعلنا ما لحق بالرباعي بحرف من الزوائد أبوابا... وأما الخماسي فنبوب له أبوابا لم نُحوج فيه إلى طلب لقرب تناولها، وكذلك الملحق بالسداسي بحرف من الزوائد. فإن عُسر مطلبُ حرف من هذا فليطلب في اللفيف... وجمعنا النوادر في باب اشتمل عليها،

---

(١) ينظر في ذلك: المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص٥٦، من قضايا المعجم العربي د. الموافي الرفاعي ص٥٥– ٥٩، نظرات في المعاجم العربية د. يحيى الجندي ص ١٠٤-١٠٥، دراسات في المعاجم العربية د. أحمد أبو العيلة رخاص ٦٥– ٦٦، مخالفات ابن دريد لمنهجه في معجم الجمهرة د. وحيد زايد ص ٨– ٩.

(٢) رؤية جديدة في المعجم العربي د. فتحي الدابولي ص ٥٦.

Scanned with CamScanner

وسميناه النوادر، لقلة ما جاء على وزن ألفاظها "[١].

سر تسميته بالجمهرة:

قصد ابن دريد أن يقدم من خلال هذا المؤلَّف عملا جليلا سماه الجمهرة وأكد ذلك في مقدمته بقوله: " وسميناه كتاب الجمهرة، لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر "[٢].

طريقة البحث في الجمهـــرة:

يمكن القول: " إنه عند البحث عن أية كلمة في هذا الكتاب، يجب بعد تجريدها من زوائدها، ملاحظة أمرين:

أ- أولهما: ترتيب حروفها ترتيبا هجائيا عاديا، من أجل أن يبحث عنها في باب أسبق حروفها ترتيبا أبجديا.

ب- ثانيهما: النظر في عدد حروفها (ثنائية - ثلاثية - رباعية - خماسية) ونوعها (صحيحة أو معتلة أو مهموزة / مضعفة أو غير مضعفة).

فإن لم توجد الكلمة في موضعها يبحث عنها في أبواب اللفيف، كما يقول ابن دريد نفسه: " فإن عسر مطلب حرف (أي كلمة) من هذا فليطلب في اللفيف، فإنه يوجد إن شاء الله تعالى [٣] ".

ونشير إلى أهم القضايا اللغوية التي تناولها ابن دريد في مقدمة " جمهرة اللغة"، مبرزين رأيه فيها، وما رواه عن طائفة من النحويين، ثم نبين موقفه — في هذا الصدد – من خلال ما قدمه على النحو التالي:

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٣.

(٢) ينظر: مقدمة الجمهرة ١/ ٣، المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١/ ٩٢، المعجم العربي... نشأته وتطوره د. حسين نصار ٢/ ٣٧٠، المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص٥٦.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٤، من قضايا المعجم العربي د. الموافي الرفاعي ص ٦١.

قضايا عامة في المقدمة

المبحث الأول: عدد حروف العربية

في حديثه عن عدد حروف العربية: ذكر أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا بقوله: " اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفا، منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما: الظاء والحاء "(١).

ويرى أن العلة في ذلك هو اعتداد الألف حرفا يتحول إلى الياء والواو والهمزة بقوله: " وأما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف، يريد أنه ساكن لا يتصرف في الإعراب، وهو الألف الساكنة، فإذا احتجت أن تحركه تحوله إلى لفظ أحد الحروف المعتلات: الياء والواو والهمزة، فمن ثم لم يعد في الحروف المعجمة حين وجدوه راجعا إلى الثمانية والعشرين، فإن اللسان ممتنع من أن يبتدئ بساكن، أو يقف على متحرك، فإذا كانت كلمة أولها ألف صارت همزة لحركتها وانتقالها إلى حال الهمزة، فلذلك قالوا في الألف ما قالوا "(٢).

بالنظر فيما أشار إليه ابن دريد يمكننا أن نقول:

أولاً: لم يفسر " الجرس "، وقد فسره الخليل بقوله: " الحروف التي بنى منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفا، لكل حرف منها: صرف وجرس. أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف.

وأما الصرف فهو حركة الحرف "(٣)، ويقول مكي في تفسير الجرس: "الجرس في اللغة: الصوت، فكأنه الحرف الصوتي، أي المُصوَّت به عند النطق، وكل الحروف يصوّت بها عند النطق بها " (٤).

وفهم الصوت بسكونه، أي إدراك حقيقته، وهذا هو المقصود بتذوقهم

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٤.

(٢) السابق ١/ ٧.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٥٠.

(٤) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة ص ١٣٣.

للحرف، حيث إنه من المعلوم أنهم كانوا يسكنون الحرف ليتذوقوه، وهذا أمر يمكن تطبيقه علىَ كل الحروف الأبجدية، فهي كلها مجروسة، أي: ذوات جرس.

أما الصرف فهو تحريك الحرف، وكل حروف الأبجدية يمكن تحريكها ما عدا ألف المد، ولذلك فهي غير مصروفة، أي: غير متحركة: فإن صرفت أي: وقعت في موقع لا تكون فيه إلا متحركة أبدلت همزة أو واواً أو ياء، كما في عصابة وعصائب، وكاهل وكواهل، وفارس وفوارس، ومستشفى ومستشفيات.

يقول الأزهري: " فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مَدَّة بعد فتحة إذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستامت (أي قلبت) إلى الهمزة أو الياء أو الواو "[١]. ولذلك فهي غير مصروفة... كما في عصابة وعصائب، وكاهل وكواهل وفارس وفوارس لأن " الهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة، والواو التي في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خلفا منها "[٢].

ثانياً: كلام ابن دريد عن الألف الساكنة صحيح، لأن الكلمة لا تبدأ بساكن، كما لا يوقف على متحرك، فإذا كانت كلمة أولها ألف صارت همزة[٣].

ثالثاً: يستفاد مما ذكره ابن دريد أنه لم يعد الألف ضمن الحروف المعجمة ولذلك جعلها ثمانية وعشرين حرفا، وهذا غير صحيح، يقول الأزهري.

" والعويص في الحروف المعتلة: الهمزة والألف اللينة والياء والواو... (ثم) قال: والياء والواو والألف اللينة منوطات بها، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين[٤].

وقد جانب الصواب ابن دريد في إخراج الألف من الحروف الأبجدية، واعتدادها حرفا يتحول إلى الهمزة والياء والواو، وقد أثبتت الدراسات الصوتية

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٥١.

(٢) السابق / ذاته.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٤) خاتمة التهذيب ص ٥١.

ذلك قديما وحديثا.

أما الخليل بن أحمد فقد أشار إلى أن عدد "حرف العربية تسعة وعشرون حرفا صحاحا، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء[١]. ونقل الأزهري عنه ذلك[٢] أيضاً.

وحذا سيبويه حذو الخليل بن أحمد في عدد حروف العربية، وأصلها " تسعة وعشرون حرفا "[٣].

وقد أخرج أبو العباس المبرد الهمزة من دائرة الحروف، وجعلها ثمانية وعشرين حرفا، فقال: " اعلم أن حروف العربية خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور، والحروف السبعة جارية على الألسن، مستدل عليها في الخط بالعلامات "[٤].

وكذلك جعل ابن جني عدد حروف العربية تسعة وعشرين حرفا، مخالفا بذلك المبرد، فقال: " اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأولها الألف، وآخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبا العباس، فإنه كان يعدّها ثمانية وعشرين حرفا، ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها، ويقول: هي همزة، لا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة فلا أعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة. وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضي منه عندنا [٥].

وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس المبرد غير صحيح – كما أشار إلى ذلك

---

(١) العين ١/ ٥٧.

(٢) التهذيب ١/ ٤٨.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣١.

(٤) المقتضب ١/ ٣٢٨.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٤١.

Scanned with CamScanner

بعض العلماء-، لأن الهمزة كغيرها من الحروف، وإن كانت لا تثبت صورتها كما يقول، وتولى الرد على ذلك ابن جني بقوله: " فأما إخراج أبي العباس الهمزة من جملة الحروف، واحتجاجه في ذلك بأنها لا تثبت صورتها فليس بشيء، وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، والهمزة أيضاً موجودة في اللفظ كالهاء والقاف وغيرها، فسبيلها أن تعتد حرفا كغيرها "(١)، هذا هو الصواب.

رابعاً: ذكر ابن دريد أن الظاء والحاء مما يختص بهما العرب، ثم قال: "وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة، وأن الظاء وحدها مقصورة على العرب"(٢).

وهذا الزعم هو الصواب، فإن الحاء موجودة -فعلاً- في السريانية والعبرية(٣). وفات ابن دريد أن الضاد بنطقه التراثي القديم لم نعثر له على مثيل في اللغات الأخرى، وإن وجدت صور متطورة منه في بعض اللغات، ولذلك يتبين عدم الدقة في كلام ابن دريد عندما ذكر أن "الضاد" توجد في لغات العجم قليلاً (٤).

وأشار ابن جني إلى أن صوت الضاد خاص بالعرب، ولا توجد في كلام العجم إلا نادرا فقال: " واعلم أن الضاد للعرب خاصة، ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل، فأما قول المتنبي:

وبهم فخر كل من نطق الضـــــا د، وعَوْذُ الجاني وغوث الطريـــد

فذهب فيه إلى أنها للعرب خاصة، ولا يعترض مثله على أصحابنا "(٥).

ونقل الجاحظ عن الأصمعي قوله: " ليس للروم ضاد"(٦)، وفيه إشارة إلى أن

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٣.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٤.

(٣) المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية. تأليف: محمد عطية الإبراشي وآخرين ص٢١، المدخل إلى اللغة السريانية د. أحمد أرحم هبو ص٧٤.

(٤) مقدمة الجمهرة ١/ ٤.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٤ - ٢١٥.

(٦) البيان والتبيين ١/ ٦٥.

الضاد الفصحى تختص بها العربية وحدها، وهذا ما نرجحه ونختاره.

واتفق ابن فارس مع ابن دريد في أن: " مما اختصت به العرب " الحاء " و" الظاء"[١]، وسبقت الإشارة إلى أن " الحاء " موجودة في اللغة السريانية والعبرية والحبشية. أما الظاء فهي من الحروف التي تختص بها العرب، يقول ابن جني: " واعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط، وإذا وقعت فيه قلبوها طاء، ولهذا قالوا: البُرْطُلَّة، وإنما هو ابن الظل، وقالوا: ناطور، وإنما هو ناظور: فاعول، من نظر ينظر، كذا يقول أصحابنا "[٢].

وأرى أن الضاد العتيقة التي كان ينطقها القدماء خاصة بكلام العرب ومقصورة عليهم، يقول ابن فارس: " وزعم ناس أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم"[٣]. وهذا الزعم هو الصواب.

---

(١) الصاحبي ص ١٢٤.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢٧.

(٣) الصاحبي ص ١٢٤.

Scanned with CamScanner

المبحث الثاني: الأصوات الفرعية غير المستحسنة والمستحسنة

ذكر ابن دريد حروفا وأصواتا أخرى غير مستحسنة، فقال: " وهذه الحروف تزيد على هذا العدد إذا استعملت فيه حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطروا إليها حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها "(١).

ومن بين ما ذكره ابن دريد :

(١) الباء التي كالفاء (P) = الباء المهموسة (ب)، مثل بور، إذا اضطروا إليه قالوا: فور(٢).

(٢) الحرف الذي بين القاف والكاف، والجيم والكاف، وهي لغة سائرة في اليمن ؛ مثل: جمل، إذا اضطروا قالوا: كمل، بين الجيم والكاف (٣).

يلاحظ التجاوز في عبارة ابن دريد في قوله: " إذا اضطروا " فإن الذي يقول: " كمل " بدلا من " جمل " ليس مضطراً، فإن العربي قد يستعمل لغة غيره في الاختيار، ولا يقال عنه آنئذ: إنه مضطر، والشعر العربي مليء بالأمثلة، ففي مثل قول الشاعر:

سقى قومي بني مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

حيث استعمل " سقى " و" أسقى "، وإحداهما ليست لغته، ولا يقال: إنه كان مضطراً.

وقد اعترف اللغويون بإمكان اجتماع أكثر من لغة على لسان العربي الواحد، يقول ابن جني: " وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هَنَا ومن هَنَا " (٤).

والحقيقة أن هناك حرفين:

أ- أحدهما: الكاف التي بين الكاف والجيم، وهي (الكاف المجهورة كَـ) وهي التي ذكرها ابن دريد لغة لأهل اليمن، وكذلك الحرف بين القاف والكاف،

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٤.

(٢) السابق ١/ ٥.

(٣) السابق ذاته، وينظر: أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ٧٨.

(٤) الخصائص ١/ ٣٧٠ وما بعدها.

والفرق بينهما هو الجهر.

ونستأنس في ذلك بما ذكره سيبويه من حيث تسمية هذا الحرف باسم الكاف التي بين الجيم والكاف، بل عدّها من الحروف غير مستحسنة ولا الكثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر(١). وتخرج: " بالتقاء مؤخر اللسان (ثلثه الداخلي) بما فوقه من الحنك اللين، وهي شديدة، مجهورة، مستفلة (٢).

ب- ثانيهما: الجيم التي كالكاف، أي: الجيم المهموسة (بإضافة همس الكاف إلى الجيم) فتصير الجيم مهموسة، فبدلاً من أن تُـــكَوَّن الجيم من (دال مغورة وشين مجهورة) تصير: (دالا مغورة وشيناً)، وهي ممثلة في قولهم: تشلب: Chalb.

كما أشار د. رمضان عبد التواب إلى أن النطق الأصلي- في اللغات السامية - لصوت الجيم كان بغير تعطيش، أما في العربية فقد: " تحول فيها إلى نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار، أي من أقصى الحنك إلى وسطه، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج، يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة، غير أن ذلك لم يحدث في البداية في كل جيم، وإنما كان يقتصر على الجيم المكسورة، تبعا لقانون الأصوات الحنكية، ثم عمم القياس هذا النطق الجديد في كل جيم طردا للباب على وتيرة واحدة، وقد حدث ذلك في العربية القديمة في العصور السابقة لظهور الإسلام، وصار هو النطق المميز للفصحى، ولذلك جاء به القرآن، وبقي النطق البائد في اللهجات العربية القديمة وامتدادتها في بعض اللهجات الحديثة "(٣).

(٣) الحرف الذي بين الياء والجيم، وبين الياء والشين- كما يقول ابن دريد-

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٢، وينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١١٧.

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١١٨، القاف العربية: صورها النطقيـــة وإبـــدالها وتأثيرها في مجاوراتها دراسة صوتية ودلالية د. عبد الكريم جبل ص ٢١.

(٣) التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه ص ١٨، ١٤٤ - ١٤٥، المدخل إلى علم اللغـــة ص ٢٢١.

مثل: غلامي، فإذا اضطروا قالوا: غَلامج، فإذا اضطر المتكلم قال: غلامش(١).

ومعنى ذلك: أن وصف ذلك الحرف من مخرج الياء، بالإضافة إلى أنه قليل من شدة الجيم وتفشى الشين، ولذلك حولوها – أحيانا – جيما في غلامج، وأحيانا شينا في غلامش، والفرق بين هذا الحرف وبين الجيم المعطشة (ڜ)، أن هذا الحرف الفرعي أميل إلى الشدة، بينما الجيم المعطشة أميل إلى الرخاوة.

٤) القاف التي بين القاف والكاف، يقول ابن دريد: " وكذلك ما أشبه هذا الحرف من الحروف المرغوب عنها، فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاة فتغلظ جدا، فيقولون للقوم: الكوم، فتكون القاف بين الكاف والقاف، وهذه لغة معروفة في بني تميم، قال الشاعر:

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفول (٢)

يفهم مما ذكره ابن دريد في الفقرة السابقة: لعله يعني الصورة النطقية للحرف الذي بين الكاف والقاف، كانت هي الذائعة والشائعة في قبيلة بني تميم، هي نفسها القاف المهموسة التي تجري على ألسنة المثقفين المصريين، وتخرج: " بالتقاء أقصى اللسان بأصل اللهاة، وهي: شديدة، مهموسة، مستعلية، منفتحة، مصمتة (٣)".

ولعل وصف ابن دريد لهذه الصورة النطقية بإلحاقها باللهاة يؤدي إلى أن تغلظ جداً – يرجح كذلك – أنه يعني " قاف القراء "، إذْ يغلب أن يكون مقصوده بالوصف بـــ " الغلظ " هو التنويه بأن لهذه القاف قيمة تفخيمية ملحوظة، وهذا أكثر انطباقا على قاف القراء، فإنها أكثر تفخيما من تلك البدوية، لأنها أكثر عمقا (٤).

ومن ثم: يمكن القول: " أن القاف اللهوية (كما ذكر ابن دريد) هي قاف القراءة المعاصرة (المستعملة)، وليست القاف البدوية، لأن تلك الأخيرة تنتج – كما في النطق الشائع الآن – بالتقاء مؤخر اللسان في نقطة قريبة إلى وسطه بما

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٥.

(٢) السابق / ذاته.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية ص١١٣.

(٤) القاف العربية صورها النطقية وإبدالها وتأثيرها [illegible]

فوقه من الحنك اللين، فهي –إذن – ليست لهوية "[١].

فهذا الصوت: " لهوي، انفجاري، مهموس، كما ينطقه المتخصصون في هذه اللغة وقراء القرآن الكريم [٢] ".

كما يرى بعض المعاصرين أن مجيدي القراءات القرآنية ينطقون القاف شديدة، مهموسة، وأن العرب القدماء كانوا ينطقونها مجهورة في العصور الإسلامية الأولى، ثم أصابها التطور، فيقول: " لهذا نفترض – هنا – أن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية، ثم هُمِس مع توالي الزمن، وأصابته صفة الشدة، فأدى هذا إلى ما نعهده في قراءتنا، إذ لا فرق بين نطق السودانيين للقاف وبين نطق المجيدين للقراءة من المصريين لها إلا في أنها مجهورة وأميل إلى الرخاوة عند السودانيين، مهموسة، شديدة عند المصريين، أو بعبادة أدق: هي كذلك في معظم اللهجات العربية الحديثة "[٣].

كما أن اللهجات العربية الحديثة تؤكد نطق القاف الشديدة المهموسة " في جنوب اليمن الشمالي من جهورية جنوب اليمن الشعبية، ومعنى ذلك: أن هذا النطق معروف بين القبائل المذحجية والحميرية "[٤].

وما زال هذا النطق مستعملا في: " كلام أهل البرلس وكذلك في كلام أهل رشيد "[٥] وكذلك " سوريا وشمال إفريقية [٦]".

(٥) الحرف الذي بين الياء والجيم.

يقول ابن دريد في مقدمة جمهرته: " وكذلك الحرف الذي بين الياء والجيم إذا اضطروا قالوا: غلامج، أي غلامي، وكذلك الياء المشددة تحوّل جيما، فيقولون:

---

(١) السابق / ذاته.

(٢) علم اللغة العام / الأصوات د. كمال محمد بشر ص ١١١.

(٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٨٥.

(٤) علم اللغة العام / الأصوات د. كمال بشر ص ١٢٨.

(٥) المختصر في أصوات اللغة العربية هامش (٣) ص١١٣، ١١٤، مميزات لغات العرب – حفني ناصف ص٣، القاف العربية صورها النطقية د. عبد الكريم جبل ص٢٣.

(٦) دروس في علم الأصوات – جان كانتينو ص١٠٩.

Scanned with CamScanner

بصرجَ وكوفجَ، كما قال الراجز:

خالي عويف وأبو علج

المطعمان اللحم بالعشج

وبالغـــداة فلق البرنج

وكذلك ياء النسبة يجعلونها جيما، فيقولون: غلامج[١]:

يلاحظ على ما ذكره ابن دريد من خلال عبارته السابقة ما يلي:

(أ) أنه جعل الحرف الذي بين الياء والجيم من الحروف المرغوب عنها وبعبارة أدق: أنه عدّها من الحروف المستقبحة أو غير المستحسنة، وهذا أمر يحتاج إلى مراجعة، لأنها لهجات عربية ثابتة، نطق بها العرب الخُلّص.

(ب) أنه ذكر أن العربي إذا اضطرّ حوّل الياء جيما، وهل يكون العربي مضطراً إذا استخدم لغته ؟ وإذا كانت هذه لغتهم التي بها يتحدثون فلا اضطرار إذن، ومن ثم ففي العبارة تجاوز أو تسامح، بل نحن نخالفه في ذلك لورود ذلك في لهجات بعض العرب، يشير إلى ذلك بعض المعاصرين بقوله: " وهذا ديدنهم فيما خرج عن لغة الجمهور، يرمونه أحيانا بالشذوذ، وأحيانا بالاضطرار، مع أنه لهجة، وما ثبت لهجة لا يحكم عليه بأنه ضرورة، وبخاصة أن له شواهد من النثر، ولا ضرورة فيه، ونظرتهم - هنا - مبنية على أنهم نظروا إلى اللهجات العربية جميعا، ولم يفرقوا بين اللهجات الخاصة المحلية واللغة المشتركة "[٢].

(ج) تحويل الياء جيما لغة لبعض بني سعد، يقولون: هذا تميمج، يريدون: تميمي[٣]، وتبدل جيما - أيضاً - في لهجة قضاعة، يقولون: الراعجّ خرج معجّ، يريدون: الراعي خرج معي[٤]، إذن ما ثبت لهجة لا يحكم عليه بأنه

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٥.

(٢) خصائص لهجتي تميم وقريش د. الموافي الرفاعي البيلي ص ٩٠.

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه ٤/ ١٨٢، النهاية في غريب الحديث والأثر لابـن الأثيـر ٣/ ٢٩٤، لسان العرب لابن منظور (باب الجيم)، المزهر للسيوطي ١/ ٢٢٢.

(٤) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص١٢٧، فصول في فقه العربية د. رمضـان عبـد التواب ص١٣٤- ١٣٥.

اضطرار أو ضرورة.

(٦) الحرف الذي بين الكاف والشين:

عدّه ابن دريد – أيضاً- من الحروف المرغوب عنها، فيقول: " وهذه اللغة تعرف في كاف مخاطبة المؤنث، يقولون: غلامش، أي: غلامك يا امرأة، إذا خاطبوا المرأة، قال راجزهم:

تضحك مني أن رأتني أحترش

ولو حرشت لكشفت عن حرش

عن واسع يغرق فيه القنفرش

أي: عن حرك، فجعل كاف المخاطبة شينا، وأنشد أبو بكر لمجنون ليلى:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى عَنّ عظم الساق منش دقيق[١]

الحرف الذي بين الكاف والشين لغة لبعض العرب كقبيلة ربيعة[٢]، وتميم[٣]، وأسد[٤]، ففي عبارة ابن دريد تسامح لورود ذلك لهجة كما ذكرنا.

وقد ترك ابن دريد بعض الحروف التي عُدّت بغير المستحسنة...وهي:

أ- الضاد الضعيفة، وهي المبدلة حرفا آخر كالظاء أو الذال مثلا.

ب- الصاد التي كالسين، أي: غير كاملة التفخيم (كنطق النساء).

ج – الطاء التي كالتاء، أي المهموسة (في نطق متقفي مصر) [٥].

*** الحروف الفرعية المستحسنة:

وإذا كان ابن دريد اهتم بذكر الحروف الفرعية (غير المستحسنة)، وإن-كان أغفل بعضها- إلا أنه لم يتحدث عن الحروف الفرعية المستحسنة، وهي:

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٥.

(٢) العين للخليل (كش)، لسان العرب مادة (كشش).

(٣) الكامل للمبرد ٢/ ٢٢٣، الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢/ ٢٣١، شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٤٨.

(٤) الصاحبي لابن فارس ص ٣٥.

(٥) ينظر في ذلك: المختصر في أصوات اللغة العربية د. جبل ٦٢- ٦٣، اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ٥٦.

Scanned with CamScanner

(١) النون الخفية أو الخفيفة... نون الإخفاء قبل حروف الفم [ت- ث- ج- د - ذ- ز - س- ش- ص - ط- ظ- ف- ق- ك].

(٢) الهمزة التي بين بين: وهي همزة متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة.

(٣) الألف الممالة إمالة شديدة: وهي الجانحة نحو الياء... كما في قوله تعالى : ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (١).

(٤) ألف التفخيم بلغة أهل الحجاز، كما في " الصلوة " و" الزكوة ".

(٥) الشين التي كالجيم، وهي الشين المجهورة التي تشبه الجيم في اللهجة السورية واللبنانية كما في " الأشدق ".

(٦) الصاد التي كالزاي، وهي صاد مجهورة مفخمة، تشبه نطق العامة في مصر، كما في قولهم: "مصدر" (٢).

---

(١) سورة الضحى / الآية (١).

(٢) ينظر في ذلك: الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٢، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦، المختصر في أصوات اللغة العربية ص٦٢، اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص٥٣ - ٥٤.

Scanned with CamScanner

المبحث الثالث: باب صفة الحروف وأجناسها (عند ابن دريد)

وفي هذا المبحث يقسم ابن دريد مخارج الحروف باعتبار الإصمات والذلاقة، غير أنه عدَّ الحروف ثمانية وعشرين وحرفا، وعند تفصيل ذلك ذكرها تسعة وعشرين حرفا، ويبدو اضطرابه وتردده في هذا الصدد، فيقول: " الحروف سبعة أجناس يجمعهن لقبان: المصمتة والمذلقة، فالمذلقة ستة أحرف، والمصمتة اثنان وعشرون حرفا، ثلاثة منها معتلات، وتسعة عشر حرفا صحاح "(١).

يفهم من خلال الفقرة السابقة التي ساقها ابن دريد: أنه ذكر الحروف المصمتة وعددها اثنان وعشرون حرفا، وهذا غير صحيح وصوابه ثلاثة وعشرون حرفا.

** ترتيب حروف الحلق عند ابن دريد:

(١) أشار إلى مخرج الهمزة بقوله: " أما الهمزة منهن فمن مخرج أقصى الحلق "(٢)، متفقا في ذلك مع الخليل بن أحمد الذي يرى: " أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق مهتونة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف من غير طريقة الحروف الصحاح "(٣) وكذلك أشار سيبويه(٤)، وابن جني(٥).

وصوت الهمزة من الأصوات التي اختلف في تحديد مخرجها بين القدماء والمحدثين، حيث يرى المحدثون أنها: " تخرج من المزمار نفسه، إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة"(٦).

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٦.
(٢) السابق / ذاته.
(٣) العين ١/ ٥٢.
(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٣.
(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦.
(٦) ينظر: الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٩٠، المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب ص٥٦، علم اللغة العام. د. كمال بشر ص ١٤٢.

Scanned with CamScanner

ويبدو أن القدماء لم تفتهم هذه الحقيقة، بل فاتهم التعبير الدقيق عنها، فالخلاف بينهما خلاف لفظي[١].

(٢) كما يرى ابن دريد أن الهاء تلي الهمزة مخرجاً، أي من أقصى الحلق، متفقا في ذلك مع ما قرره القدماء والمحدثون [٢].

(٣) مخرج الحاء يلي مخرج الهاء، وهي أقرب حرف يليها، مخالفا بذلك ترتيب الخليل الذي يرى أن " الهاء " تلي العين والحاء، فيقول: " فأقصى الحروف كلها العين، ثم الحاء، ولولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين، لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء "[٣].

أما سيبويه فقد ذكر الهاء بعد الهمزة والألف، ثم العين، ثم الحاء[٤].

ومن ثم فإن ما أشار إليه ابن دريد من أن مخرج الهاء قريب من مخرج الحاء وأنهما متجاوران مخرجا، هو الذي جوز أن يبدل كل منهما من صاحبه، يقول ابن دريد معبرا عن الإبدال بين الحاء والهاء: " والحاء أرفع، وهي أقرب حرف يليها (أي الهاء)، ألا ترى أنها في كلام كثير من الناس مغلوط بها حتى تصير الهاء حاء والحاء هاء، قال رؤبة:

لله در الغانيات الـمـدّه سبَّحْن واسترجعن من تألهـي

ويروي: الـمُـزّه، أراد الـمُزّج. ومن روى المدّه أراد المدّح. وقال النعمان بن المنذر لرجل ذكر عنده رجلا ؛ أردت كيما تذيمه فمدهته ؛ أراد: تعيبه فمدحته "[٥].

ومن ثم فإن ابن دريد – في هذا الصدد – يستدل بالإبدال على قرب

---

(١) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي ص ٦٨- ٦٩.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٦، الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٣، سر الصناعة ١/ ٥٥- ٥٦، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ١٩٩، فقه اللغة د. علي وافي ص ١٢٩، مستويات التحليل اللغوي د. عبد المنعم عبد الله حسن ص ٥٠.

(٣) العين للخيل ١/ ٥٧.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣١.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٦، وينظر: لسان العرب مادة (مده) و(مزه).

المخارج، وهذا يدل على وجود العلاقة المخرجية بين المبدل والمبدل منه، لا العلاقة الوصفية.

(٤) ثم أشار ابن دريد إلى العلاقة بين الهمزة والهاء بقوله: " والهمزة تدخل على الهاء كثيرا، وتدخل الهاء عليها، كقولهم: أيهات وهيهات، وآزيد وهازيد في الدعاء (النداء)"[١].

وهذا الإبدال الذي ذكره ابن دريد بين الهمزة والهاء صحيح، لأنهما يخرجان " من أقصى الحلق " كما ذكرنا، فضلا عن أنهما من حيز واحد، ويشتركان في بعض الصفات، ولهذه العلاقة المخرجية والوصفية جاز إبدال كل منهما إلى الآخر.

وسبقه الخليل- في هذا الصدد- حيث أكد العلاقة المخرجية لصوتي الهمزة والهاء فقال: " الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رفه عن الهمزة صارت نفسا تحوّل إلى مخرج الهاء، وكذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة ؛ يقال: أراق وهراق، وأيهات وهيهات "[٢].

وهذا الإبدال سائغ ومقبول لتقارب الحرفين مخرجا واشتراكهما في بعض الصفات، فضلا عن كونه لهجيا:

(أ) فطيء تقول: هزيد فعل ذلك، يريدون: أزيد فعل ذلك[٣]، وعزا الخليل بن أحمد ذلك لأهل الحجاز بقوله: " يقول أهل الحجاز: " ها " بدل من ألف الاستفهام، تقول: ها إنك زيد ؟ معناه: أإنك زيد "[٤].

(ب) أما أيهات وهيهات (فاسم فعل ماض بمعنى بَعُد "، وعزا السيوطي صيغة الهمزة لأهل الحجاز، أما الهاء فلبني تميم [٥].

(٥) ثم أشار ابن دريد إلى أن: " العين تتلو الحاء في المدرج والارتفاع،

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٦.

(٢) العين ٤/ ٧٤، وينظر اللسان (روق – ريق – هرق).

(٣) اللسان مادة (ها).

(٤) العين ٤/ ١٠٣.

(٥) المزهر للسيوطي ٢/ ٢٥٧، ٢٧٦.

Scanned with CamScanner

فلذلك قال قوم من العرب: محهم، يريدون: معهم، وإذا أدغم قيل: محّم"[١]. يفهم من الفقرة التي ساقها ابن دريد ما يلي:

أولاً: إبدال العين حاء في " محهم " ليس دليلا على أن العين بعد الحاء في المخرج، فقد يبدل الحرف إلى حرف قبله أو بعده ما دام قريبا منه في المخرج.

ثانياً: إدغام العين في الهاء تقيل، وعكسه تقيل أيضاً، ويبدو أن ابن دريد أجاز ذلك لتوسط مخرج الحاء بين مخرجي الهاء والعين.

ثالثاً: اكتفى ابن دريد بالإشارة إلى أن إدغام العين في الهاء في قوله: "محم" لغة قوم من العرب، بينما هذه هي لغة بني تميم، يقول سيبويه: " ومما قالت العرب تصديقا لهذا في الإدغام قول بني تميم مَحّم، يريدون: معهم، ومحؤلاء ؛ يريدون: مع هؤلاء "[٢].

حروف أقصى الفم: (القاف والكاف)

يقول ابن دريد: " وأما حروف أقصى الفم فهن: " القاف " و" الكاف "، ثم الجيم، ثم الشين ". هذا ترتيب صحيح، ثم ذكر أنه: " لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلا بحواجز، ليس في كلامهم: قك ولا كق، وكذلك حالهما مع الجيم، ليس في كلامهم: كك جك ولا كج "[٣].

وإذا ورد في الكلام كلمة اجتمعت فيها الجيم والقاف، فيكون ذلك على جهة التعريب، وهذا ما يشير إليه ابن دريد في موضع آخر حيث يقول: "وقلّ ما يجيء في كلام العرب كلمة فيها جيم وقاف، إلا كلمات سبع أو ثمان منها أيضاً معرب، كأن الجرندق من الجردق "[٤].

وسبقه في ذلك الخليل بقوله: " فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو من تأليف العرب، وما ليس من تأليفهم، نحو: قعثج ونعثج ودعثج لا ينسب إلى

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/٦.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٥٠.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٦، وينظر كذلك: مستويات التحليل اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة د. عبد المنعم عبد الله حسن ص٩٩.

(٤) الاشتقاق لابن دريد ص ٤٢٩.

عربية، ولو جاء عن ثقة لم يُنكر ولم نسمع به (ولكن ألفناه ليُعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل"[١].

كما نقل السيوطي عن الفارابي قوله: " الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن تكون معربة، أو حكاية صوت، نحو: الجردقة، وهو الرغيف، والجرموق: الذي يُلبس فوق الخف... [٢] ".

وقليل ما يُجمع بين الجيم والقاف في كلمة واحدة بشرط أن يكونا غير متتاليين ؛ حيث يفصل بينهما بحواجز أو حروف كما يقول ابن دريد، ولعل السر في ذلك كونهما من مخرجين متجاورين.

** <u>اجتماع القاف مع الشين:</u>

أما القاف فقد تجتمع مع الشين، لتفشي الشين وقربها من عقدة أصل اللسان، يقول ابن دريد: " في كلام العرب قش، والقشّ: مصدر قششت الشيء أقشه قشًا: إذا استوعبته، ويقال: قششت الشيء بيدي قشا: إذا حككته بيدك حتى يتحاتّ. وألحقوا هذه الكلمة ببناء جعفر، فقالوا: قشقش" [٣].

من خلال ما ذكره ابن دريد يمكن أن نقول:

<u>أولاً:</u> الإلحاق: أن تزيد في البناء زيادة لتلحقه ببناء آخر أكثر منه، فيتصرف تصرفه، كما تقول: جلبب، وأصله: جلب، زيدت الباء لإلحاقه ببناء: دحرج.

<u>ثانياً:</u> هل الصواب أن يكون قشقش ملحقا بجعفر أو زلزل ؟

الصواب: إلحاقه بزلزل، لأنه مضعف رباعي مثله، إضافة إلى أن: قشقش فعل، وجعفر اسم، إلا إذا كان ذلك مقصودًا به الوزن فقط.

<u>ثالثاً:</u> أن الرباعي المضعف بناء قائم برأسه عند البصريين، وهو عند الخليل مكرر الثنائي للدلالة على تكرير المقطع، وعند الكوفيين أصله (فَعَّل) بتشديد العين، أبدلت العين الثانية حرفا من جنس الفاء، فأصله قَشَّشَ، وعلى هذا فليس

---

(١) العين ١/ ٥٤.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٢٧١.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

Scanned with CamScanner

ملحقا عندهم.

** <u>اجتماع الشين مع الكاف:</u>

أما الشين فقد تجتمع مع الكاف – كما يقول ابن دريد – كقولهم: "شُك في الأمر، وكَشّ البعير: إذا هدر هديرا خفيفا، كما يتم الجمع مع الجيم كقولهم: الشّج والجَشّ [١]، وهذا الذي ذكره ابن دريد مقبول.

** <u>حروف طرف اللسان: (السين والصاد والزاي)</u>

أشار ابن دريد إلى حروف طرف اللسان بقوله: " جنس حروف وسط اللسان مما هو منخفض: السين والزاي والصاد "[٢].

تعبير ابن دريد: " السين، والزاي، والصاد " يخرجن من وسط اللسان تعبير غير دقيق، بل فيه تسامح قليل، وصحته: حروف طرف اللسان، وهذا ما أكده اللغويون، حيث يقول سيبويه: " ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد"[٣]. وكذلك صرح ابن جني[٤]. والمبرد[٥].

وأطلق عليها الخليل بن أحمد حروفا أسلية: " لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرفه "[٦].

وسميت بحروف الصفير لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها بما يشبه الصفير وقد عبر بعضهم عن ذلك بقوله: " لأنك تسمع لهن صوتاً يشبه صفير الطائر، لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك إذا

---

(١) ينظر: مقدمة الجمهرة ١/ ٧، وقولهم: > الشَّجَّة: الجرح يكون في الوجه والرأس ولا يكون في غيرهما من الجسم وجمعها شجاج، كما يقال: جش البئر يجشها جشا وجشجشها: نقاها... المحكم لابن سيده ٧/ ١٧٤.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦.

(٥) المقتضب ١/ ١٩٣.

(٦) العين ١/ ٥٨.

سكنت[١]، يقول سيبويه في باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا: " وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"[٢].

** **حروف طرف اللسان وأصول الثنايا: (التاء والطاء والدال)**

يقول ابن دريد: " ومن جنس حروف أدنى الفم: التاء والطاء والدال"[٣].

لعل هذا التعبير غير دقيق أيضاً، لأن التاء والطاء والدال يخرجن – كما يقول سيبويه: "مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء"[٤] وتبعه ابن جني في ذلك مستعملا العبارة السابقة[٥]، كما أكد ذلك ابن الجزري[٦].

كما أطلق عليها الخليل بأنها حروف نطعية فقال: " الطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار "[٧]. وفُسِّر النَّطع بـــــ " الغار الأعلى الذي هو وسط الحنك وأشده ارتفاعا... ونهاية النطع أول الحنك الرخو قرب تجويف الفم من الداخل[٨] "، وهو ما صرح به ابن الجزري[٩] أيضاً.

ولا خلاف بين ما ذهب إليه القدماء والمحدثون[١٠] في تحديدهم لمخرج الطاء والتاء والدال. ولذا كان الإبدال بينها سائغاً كما في قولهم: " هرت وهرد

---

(١) نهاية القول المفيد ص ٣٥.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٦٤.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦.

(٦) النشر في القراءات العشر ١/ ١٦٤.

(٧) العين ١/ ٥٨.

(٨) المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد جبل ص ٥٠.

(٩) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ١٦٤.

(١٠) ينظر: فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ١٢٩، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنـيس ص٩٠، فن الترتيل وعلومه للشيخ أحمد الطويل ٢/ ٦٥٦، المختصر في أصـوات اللغـة العربية ص١٢٢.

Scanned with CamScanner

وهرط "، وقولهم: " متّ ومدّ ومطّ " وكلها لغات كما يقول ابن منظور" [١].

** الظاء والذال والثاء:

ثم يشير ابن دريد إلى مخرج الظاء والثاء والذال بقوله: " وأدنى منها (يقصد: الطاء والدال والتاء) مما هو شاخص إلى الغار الأعلى: الظاء والثاء والذال والضاد "[٢].

ذكر ابن دريد مخرج " الظاء والثاء والذال "، وهو ما أشار إليه سيبويه بقوله: " ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء والذال والثاء"[٣].

وتؤيد الدراسات الصوتية الحديثة ما يقرره المحدثون، وقد بيّن بعضهم كيفية خروج هذه الحروف بقوله: " ويخرجن بامتداد طرف اللسان تحت أطراف الثنايا العليا، وخروج الهواء تسرُّبا من جانبي طرف اللسان، ومما بين الثنايا واللسان من مسارب دقيقة "[٤].

ويلاحظ أن ابن دريد – هنا- جعل مخرج (الضاد) من مخرج (الظاء والثاء والذال) ولا يمكن أن يكون ذلك صحيحا، إلا إذا كان يتحدث عن ضاد ضعيفة، شبيهة بالظاء، ولذا كان تحديده لها غير دقيق، لما يلي:

أولاً: الضاد حرف جانبي مستطيل يخرج: " من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[٥] "، أو أنها تخرج: " من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر "[٦]، أو كما يقول ابن جني " ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من

---

(١) ينظر لسان العرب مادة (هرت) و(متت).

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦.

(٤) ينظر في ذلك: المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١٤٦، فقه اللغة د. وافي ص ١٢٩، علم اللغة العام د. كمال بشر ص ١١٩، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٤٥.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٦) المقتضب للمبرد ١/ ١٩٣.

الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر"[١].

أما الخليل بن أحمد فقد جعل مخرجها من موضع الجيم والشين بقوله: "والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي: من موضع مفرج الفم "[٢].

أما المحدثون من علماء اللغة فقد ذكروا أنها تخرج: " من حافتي اللسان أو إحداهما، مع ارتكاز طرفه على أصول الثنايا العليا- أي بين موقع طرف اللسان في اللام وموقعه في الطاء والدال والتاء: الضاد "[٣].

وعند النطق بها: " تتكون بمرور الهواء بالحنجرة فيحرك هذا الحرف الوترين الصوتين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبي- عن يسار الفم عند أكثر الرواة، أو عن يمينه عند بعضهم، أو من كلا الجانبين، كما يستفاد من كلام سيبويه "[٤].

ومن ثم: فإن ما ذكره ابن دريد غير دقيق، لإشراكه (الضاد) مع مخرج (الظاء والذال والثاء)، إلا إذا قصد بذلك ضادا ضعيفة شبيهة بالظاء، كما أنه خالف القدماء والمحدثين في هذا الصدد، بالإضافة إلى أنه لم يقل أحد بذلك من اللغويين.

ثانياً: أنه لا علاقة لكل من (الظاء والثاء والذال) بالغار الأعلى.

** **الحروف المذلقة وسبب تسميتها بذلك:**

وأما الحروف المذلقة فقد قسمها ابن دريد إلى صنفين:

(١) جنس الشفة، وهي: الفاء والميم والباء "[٥].

وهذا التحديد الذي ذكره ابن دريد عام. لا يشمل الفاء، لأن الفاء لا عمل فيها

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦.

(٢) العين ١/ ٥٨.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية ١٢٢.

(٤) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٤٦.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

Scanned with CamScanner

إلا للشفة السفلى فقط مع أطراف الثنايا العليا [١].

إذ عند النطق بالفاء: " يندفع الهواء مارا بالحنجرة دون أن يتذبذب مع الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو: بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويضيق المجرى عند مخرج الصوت، فنسمع نوعا عاليا من الحفيف هو الذي يميز الفاء بالرخاوة"[٢].

أما الباء: " فتخرج بانطباق الشفتين في نقطة أقرب إلى باطنهما، ويندفع له الهواء من الرئتين، فيمر بين الوترين زامرا، ويستمر إلى الفم، فالشفتين، حيث تنطبقان في نقطة أقرب إلى باطنهما انطباقا محكما قويا، يحبس الهواء حبسا تاما ونسمع صوت الباء"[٣].

وتخرج الميم بانطباق الشفتين[٤]. مع مرور هوائها وزميرها من الأنف، إذ يمر هواؤها من بين الوترين زامرا، ويستمر فيجد أن سبيله في الفم مغلق بانطباق الشفتين، فيخرج من الأنف، ويكتسب تلك الغنة الشبيهة بغنة النون"[٥].

** <u>حروف أسلة اللسان (الراء واللام والنون)</u>

والجنس الثاني من المذلقة – كما يقول ابن دريد: " بين أسلة اللسان (وهو مستدق طرفه) إلى مقدم الغار الأعلى، وهي الراء والنون واللام، وهي ممتزجة بصوت الغنة [٦].

يلاحظ على ما ذكره ابن دريد – في الفقرة السابقة – ما يلي:

<u>أولاً</u>: الغنة: صوت لذيذ مركب في جسم النون والميم الساكنتين، يقول ابن منظور: " الغُنَّة: صوت في الخيشوم، وقيل: صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف... المبرد: الغنة: أن يُشرب الحرف صوت الخيشوم

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٤، سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦.

(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٤٤، المختصر في أصوات اللغة ص ١٥٠.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١٥٢.

(٤) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر الصناعة ١/ ٥٦.

(٥) المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد جبل ص ١٥٤.

(٦) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

Scanned with CamScanner

وقال الخليل: النون أشد الحروف غُنَّة " [١].

ثانياً: ليست الراء واللام من أصوات الغنة، بدليل أننا إذا أطبقنا الأنف أخل بالميم والنون، ولم يخل بالراء ولا باللام، مما يدل على اختصاص الغنة بالنون والميم، يقول الشيخ محمد مكي نصر: " الدليل على أن الغنة مخرجها الخيشوم بأن الشخص لو أمسك أنفه لم يمكن خروجها [٢].

ثالثاً: أعتقد أن العبارة السابقة التي ذكرها ابن دريد مضطربة، ولعل صحتها إلى " مقدم الغار الأعلى، وهن الراء واللام والنون، وهي ممتزجة بصوت الغنة، لأن الغنة صوت من أصوات الخيشوم " بدليل أنه صرح بعد ذلك بقوله: " وإليه يسمو هذا الصوت " أي: أن النون مجموعة [الراء والنون واللام].

** كما نقل ابن دريد عن أستاذه الأشناندانى أنه سمع الأخفش يقول: "سميت الحروف مذلقة لأن عملها في طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها "[٣].

ويمكن القول: إن ما ذُكِرَ عن الأخفش في هذا التعليل فيه تسامح منه، لأن حروف الذلاقة بها ثلاثة أحرف شفوية (الفاء والباء والميم)، والصواب – في رأيي – أنها سميت بالمذلقة أو الذلقية لخفتها وكثرة دورانها في الكلمات، أو أنها: " سميت بذلك لخفة اللسان وسهولته حال النطق بحروفه، لأن بعضها يخرج من طرف اللسان، وبعضها من الشفتين "[٤].

ولذا يقول الخليل في هذا الصدد: " اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة، وهي (الراء واللام والنون والفاء والباء والميم)، وإنما سميت هذه الحروف ذلقا، لأن الذلاقة إنما هي بطرف اللسان والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة "[٥].

---

١) لسان العرب مادة (غنن).

٢) نهاية القول المفيد ص ٣٨.

٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

٤) فن الترتيل وعلومه ٢/ ٥٨٦.

٥) العين ١/ ٥، سر صناعة الإعراب ١/ ٦٤.

Scanned with CamScanner

يؤكد ذلك الأزهري في مقدمة التهذيب بقوله: " فأما المذلق فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما: حيز الفاء فيه ثلاثة أحرف كما ترى (ف ب م)، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين، لا عمل للسان في شيء منها، والحيز الآخر حيز اللام فيه ثلاثة أحرف كما ترى (ل ر ن)، مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان ومقدم الغار الأعلى، فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة، وحروفهما أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام وأحسنها في البناء " (١).

وذهب بعض المعاصرين إلى علة تسمية حروف الذلاقة بقوله: " الذلاقة حد اللسان وطلاقته، والمراد هنا الأحرف التي تتصف بالخفة والسلاسة في نطقها وهي اللام والراء والنون، وسميت أحرف الذلاقة، لأنها تخرج من ذلق اللسان (وهو حدّ طرفه) مع طرف غار الفم "(٢).

ولخفة هذه الأحرف وسلاستها لا تجد شيئا من بناء الخماسي يُعري منها يقول الخليل في هذا الصدد: " إن الحروف الستة الذلق والشفوية لما ذلقت ومذ بهن اللسان وسهلت عليه في النطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بنا الخماسي التام يُعرى منها أو من بعضها "(٣). وهذا ما صرح به كوكبة من علم اللغة (٤).

علة تسمية الحروف المصمتـــة:

أصاب ابن دريد في تعليله للحروف المصمتة بقوله: " وسميت الأخر مصمتة، لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها(لصعوبتها وثقلها) على اللسان "(٥).

---

(١) مقدمة التهذيب ص ٥٠.

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٧٦.

(٣) العين ١/ ٥٢.

(٤) ينظر في ذلك: سر صناعة الإعراب ١/ ٦٤ – ٦٥، الرعاية ص ١٣٦، نهاية القول ال ص٥٢، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٤٦.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

وهذا ما نبه عليه اللغويون القدماء والمحدثون كذلك، حيث نقل الأزهري أن هذه الحروف المصمتة: " سُمّين مصمتة لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها، وإذا عُرِّيت من حروف الذلاقة قلّت في البناء، فلست واجدا في كلام العرب خماسيا بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولا كلاما رباعيا كذلك " (١).

وأكد ذلك بعضهم بقوله: " إن كل كلمة على أربعة أحرف أو خمسة أصولاً لابد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف من الحروف المذلقة، لتعادل خفة المذلق ثقل المصمت، ولذلك قالوا: إن عسجدا اسم للذهب أعجمي لكونه من بنات الأربع، وليس فيه حرف من المذلقة، وحروفه (أي المصمتة) ما عدا الحروف المذلقة الستة، وهي ثلاثة وعشرون حرفا مجموعة في قولهم " جز غش ساخط صد ثقة إذ وعظه يحضك"(٢)، وقد سبق أن ذكر ابن دريد أنها اثنان وعشرون حرفا وهو خطأ وصوابه: ثلاثة وعشرون حرفا.

أو كما عبر بعضهم عن هذا التعليل بقوله: " إنهم سموها مصمتة لثقلها (بالنسبة إلى خفة حروف الذلاقة). فالشيء المصمت – أي الممتلئ الجوف أثقل من الفارغة) (٣).

---

(١) مقدمة التهذيب ص ٥١.

(٢) نهاية القول المفيد ص ٥٢- ٥٣.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٧٦.

Scanned with CamScanner

المبحث الرابع: ما رواه ابن دريد- في مخارج الحروف- عن النحويين:

هذا تقسيم آخر لمخارج الحروف وصفاتها، نقله ابن دريد عن طائفة من النحويين، وقد بين ذلك في مقدمة جمهرته: " وقد فسر النحويون مخارج الحروف وأجناسها تقسيماً آخر، وقد اثبته لك وإن كان فيه طول لتقف على ألقاب الحروف ومخارجها "[١] وسوف نعقد مقارنة - إن شاء الله تعالى - في ضوء ما ذكره القدماء والمحدثون.

(١) حروف الحلق (الهاء - الهمزة - الألف - العين - الحاء - الغين - الخاء):

يقول ابن دريد: " ذكر قوم من النحويين أن هذه التسعة والعشرين حرفا، لها ستة عشر مجرى، للحلق منها ثلاثة، فأقصاها الهاء، وهي أخت الهمزة والألف، والثاني العين والحاء، والثالث وهو أدناها إلى الفم، والغين والخاء"[٢].

يلاحظ من خلال الفقرة السابقة ما يلي:

أولاً: خالف ابن دريد الترتيب السابق الذي ذكره النحويون، حيث جاء الترتيب عنده " الهمزة والهاء، والحاء والعين، والغين والخاء "[٣] فأصاب في جعل مخرج الهمزة من أقصى الحلق، إلا أنه لم يشر إلى الألف ضمن حروف الحلق، فخالف - بذلك- علماء اللغة القدامى والمحدثين.

ثانياً: يلاحظ أن النحويين قدّموا (الهاء) وجعلوا مخرجها من أقصى حروف الحلق، وهذا التحديد غير دقيق، ولم يقل أحد من اللغويين ذلك.

ثالثاً: كما يلاحظ أن ابن دريد قدّم الحاء على العين (حروف وسط الحلق) بينما أخر النحويون الحاء عن العين [٤].

رابعاً: أما الخليل بن أحمد فقد كان له نهج خاص في ترتيب حروف الحلق

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٢) السابق / ذاته.

(٣) السابق ١/ ٦.

(٤) السابق ١/ ٨.

حيث بدأ بـــ " العين " ثم " الحاء " ثم " الهاء " ثم " الخاء " ثم " الغين "، أما الهمزة عنده – فهي هوائية– وكذلك الألف لأنه ليس لهما حيز تنسب إليه(١).

وعلل مكي بن أبي طالب القيسي لعدم ذكر الخليل بن أحمد الألف ضمن حروف الحلق بقوله: " لم يذكر الخليل معهن الألف، لأنها تخرج من هواء الفم وتتصل إلى آخر الحلق، فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها مع حروف الحلق "(٢).

خامساً: إذا كان ابن دريد بدأ بالهمزة وأغفل الألف، والنحويون بدأوا بالهاء فإننا نرجح ترتيب سيبويه وابن جني ومن تقفاهما من المحدثين، حيث جاء الترتيب عندهم " الهمزة والألف والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء "(٣) ونستأنس في ذلك بما أشار إليه بعض المحدثين الذي يرى أن الهاء يأتي ترتيبها في المخرج بعد الهمزة والألف، فيقول: " أن أعلى الحلق يشترك جزئيا في نطق الهاء، وهذا الاشتراك يوجه تأخير ترتيبها عن مخرج الهمزة والألف (٤).

سادساً: أنه لا خلاف بين القدماء والمحدثين في ترتيب حروف (وسط الحلق) = (العين والحاء)، إلا أن النحويين قدّموا الحاء وآخروا العين، وفي حروف أدنى الحلق (الغين والخاء) قدّم الخليل الخاء على الغين (٥).

(٢) حروف أقصى اللسان (القاف والكاف):

نقل ابن دريد – عن النحويين – قوله: " ثم حروف الفم، فأدناها إلى الحلق القاف، ثم الكاف أسفل منها قليلاً "(٦).

---

(١) العين ١/ ٥٨.

(٢) الرعاية – مكي بن أبي طالب القيسي ص ١٣٩.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣ – ٤٣٤، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦.

(٤) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٩٣ – ٩٣.

(٥) ينظر في ذلك: العين ١/ ٥٨، الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦، المختصر في أصوات اللغة العربية ص٦٢، التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ص ٦٨، علم اللغة العام د. كمال بشر ص ٩٠، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ٨٤.

(٦) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

Scanned with CamScanner

يتفق ابن دريد – فيما نقله- مع اللغويين في تحديد مخرج القاف والكاف، وأنهما يخرجان من أقصى اللسان، وعبارته: " ثم حروف الفم "، لعله يقصد بحروف الفم: "أول الفم من الداخل الذي جانباه أصل اللهاة من أعلى وأقصى اللسان "(١).

أما الخليل بن أحمد فأشار إلى مخرجيهما بقوله: " القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع "(٢). ولعل السر في سبب تسمية الخليل لهما بذلك: " لأنه نسبهما إلى الموضع الذي يخرجان منه، وهو اللهاة، واللهاة: ما بين الفم والحلق"(٣). وإن كانت عبارة الخليل- هنا- مبنية على التسامح، يشير إلى ذلك بعض المحدثين بقوله: " وهنا تسامح، لأن اشتراك اللهاة في إخراج الكاف غير مُسَلَّم، وكذا قوله: " والكاف أرفع " يقصد أنها أقرب إلى الخارج، وهذا حق"(٤).

ولعل الأقرب إلى الدقة في تحديد مخرج(القاف) و(الكاف) ما أشار إليه سيبويه بقوله: " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج (القاف) ومن أسفل من موضع (القاف) من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف(٥)" وتبعه ابن جني في ذلك بقوله: " ومما فوق ذلك [أي من مخرج الغين والخاء] من أقصى اللسان مخرج القاف، ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدّم الفم مخرج الكاف "(٦).

وفسر بعض المحدثين ما عناه السابقون من ذكرهم لمخرج القاف من "أقصى اللسان" وأنها لهوية فيقول: " يمكن أن تفهم عبارة " أقصى اللسان فيها أنها أقصى نقطة داخلية في اللسان الراقد، وهي عينها أعلى جذعة، ونص عبارته: "وما فوقه

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية هامش(١) ص ١٠٤.

(٢) العين ١/ ٥٨.

(٣) الرعاية ص ١٣٩.

(٤) المختصر في أصوات اللغة العربية هامش (٢) ص ١١٢.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧، وينظر: أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٢١.

من الحنك " أنها نهاية الحنك الأعلى من الداخل، وهي بعينها منطقة أقصى اللهاة، وبذلك تلتقي التحديدات "(١).

كما يرى بعض اللغويين أنه: " لا فرق بين القاف والكاف، إلا في أن القاف أعمق قليلا في مخرجها، ولذلك يمكن أن تسمي الكاف صوتا لهويا نسبة إلى اللهاة "(٢).

ومن ثم فإن بعض المعاصرين يؤكد أن مخرج الكاف يلي مخرج القاف بقوله: " أما بالنسبة للمخرج فالأمر هين، لأنه يمكن اعتبارهما من مخرج واحد إذا وسعنا دائرة المخرج لتشمل منطقتي اللهاة والطبق اللين المتجاورين، كما يمكن اعتبارهما من مخرجين إذا فصلنا منطقة الطبق اللين عند منطقة اللهاة، وهذا الخلاف الموجود بين القدماء نجده كذلك بين المحدثين "(٣).

أما الشيخ محمد مكي نصر فقد فرّق بينهما، بقوله: " إذْ لولا الجهر والاستعلاء اللذان فيها (القاف) لكانت كافا، ولولا الهمس والتسفل اللذان في الكاف لكانت قافا... ولأجل قربهما في المخرج يختلط صوت أحدهما بالآخر "(٤).

إذن ما ذكره ابن دريد والنحويون كذلك وغيرهم يلتقون في تحديد مخرج القاف والكاف.

(٣) حروف وسط اللسان = (وسط مقدّم اللسان) = الياء والجيم والشين.

نقل ابن دريد عن النحويين مخرج الجيم والشين والياء، فقال: " ثم الجيم والشين من اللهاة، والياء من وسط اللسان بينه وبين ما حاذاه من الحنك الأعلى "(٥).

يفهم من الفقرة التي ساقها ابن دريد عن بعض النحويين ما يلي:

أولاً: هذا الذي نقله ابن دريد غير دقيق، بل يخالف تحديد السابقين له ومن

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية ص١٠٩، علم اللغة العام د. كمال بشر ص١٠٩ - ١١٠.

(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٨٦- ٨٧.

(٣) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص ٣٤٢.

(٤) نهاية القول المفيد ص ٧١.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

Scanned with CamScanner

تقفاه كذلك، حيث جعل مخرج الجيم والشين من اللهاة.

ثانياً: أما الخليل بن أحمد فجعل " الجيم والشين والضاد " شجرية، ونصه: " والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي: مفرج الفم، أي: منفتحة "[١]. كما أطلق عليها ابن يعيش[٢] كذلك، وغيرهما كثير[٣].

وفصل القول - في ذلك - محمد مكي نصر تعليقا على عبارة الخليل السابقة فقال: "وتسمى هذه الحروف الثلاثة شجرية، لخروجها من شجر الفم، بسكون الجيم، وهو منفتح ما بين اللحيين، وقيل: هو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى "[٤].

ثالثاً حدد سيبويه ومن حذا حذوه من اللغويين مخرج الحروف الثلاثة بقوله: "ومن وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء"[٥]. وسار على نهجهم بعض المعاصرين [٦].

رابعاً: إن تحديد سيبويه وابن دريد وغيرهما لمخرج الجيم والشين والياء (وسط اللسان) فيه تسامح كبير، والصحيح: " أن هذه الأصوات تخرج من وسط مقدم اللسان، أي: دون طرفه، وليس وسطه كله... والعلة في ذلك أن التجربة والتذوق وعلاقات هذه الأحرف بغيرها، وكلام سيبويه عن ضوابط الإدغام يعطي هذا[٧].

خامساً: وأما عن ترتيب هذه الأصوات من حيث المخرج فقد ذكر جمهور علماء اللغة أن الجيم تسبق أختيها الشين والياء[٨] وهذا أمر لا يمكن التسليم به،

---

(١) العين للخليل ١/ ٥٨، وينظر كذلك: أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال صـ ١٢٨.

(٢) شرح المفصل ١/ ٢٤.

(٣) ينظر: النشر ١/ ٢٠٠، التطور النحوي للغة العربية - برجشتراسر ص١٢، دروس في علم أصوات العربية - جان كانتينو ص ٣١.

(٤) نهاية القول المفيد ص ٣٤.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر الصناعة ١/ ٤٧، النشر ١/ ١٦٣.

(٦) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٦٨، فقه اللغة د. علي وافي ص ١٢٩.

(٧) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١١٥ بتصرف.

(٨) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦، نهاية القول المفيد ص ٣٤.

Scanned with CamScanner

ولعل الترتيب الصحيح هو " الياء " ثم " الجيم " ثم " الشين "، فالشين متأخرة عنهما قطعا، و" الياء " قبل " الجيم " والذوق يحقق هذا[١].

ومن ثم فإن ما ذكره ابن دريد – من حيث ترتيب هذه الحروف الثلاثة- غير دقيق أيضاً، كما أن وصفه " الجيم " و" الشين" من اللهاة يحتاج إلى مراجعة لما ذكرناه آنفا.

(٤) حروف طرف اللسان: (الصاد والسين والزاي).

يبدو أن طرف اللسان يضم كثيرا من الأصوات العربية لأنه أكثر مرونة، ونجلي في السطور التالية ما يضمه طرف اللسان من حروف.

(١) ذكر ابن دريد – عن طائفة من النحويين " أن السين والصاد والزاي بجنب اللسان الأيمن من أصول الأضراس إلى أصول الثنايا العليا "[٢].

يفهم من خلال ما رواه ابن دريد عن النحويين النقاط التالية:

(أ) سبق أن تحدث ابن دريد عن مخرج " السين " و" الزاي " و" الصاد " وأشار إلى أنهن يخرجن: من وسط اللسان مما هو منخفضة [٣] وذكرنا أن هذا التعبير لم يكن دقيقا، بل فيه تسامح قليل، وصحته: حروف طرف اللسان، وليس وسطه، ولعل يقصد (بمنخفضه): أي نحو طرفه.

(ب) أشار ابن دريد نقلا عن بعض النحويين إلى أن " السين " وأختيها "الصاد " و" الزاي " يخرجن بجنب اللسان الأيمن، وهذا التعبير غير دقيق أيضاً، ولـــمَ خص النحويون جنب اللسان الأيمن ؟!! ولا ندري **لماذا** هذا التخصيص.

(ج) كان تحديد القدماء لمخرج (السين والصاد والزاي) دقيقا، فها هو الخليل بن أحمد سماها حروفا أسلية، وأسلة اللسان، مستدق طرفه، فقال: " والصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرف

---

(١) المختصر في أصوات اللغة ص ١١٥.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

Scanned with CamScanner

اللسان "[١].

(د) صرح سيبويه بأنهن يخرجن " مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا: الزاي والسين والصاد "[٢]، وقريب من هذا المعنى صرح به ابن جني[٣] والمبرد كذلك [٤].

(هـ) لـم يختلف المحدثون مع القدماء في وصفهم لمخرج الأصوات الثلاثة (الصاد والسين والزاي)، يقول د. إبراهيم نجا: " طرف اللسان مع أطراف الثايا السفلى، وحروفه: السين والزاي، والصاد "[٥].

وبعضهم آثر تسمية الأصوات الثلاثة بالأسلية، فقال: " الأحرف الأسلية: وهي: الصاد والسين والزاي، ومخارجها متقاربة: ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العليين، والصاد أدخلها في هذا المخرج، والسين أوسطها والزاي أبعدها "[٦].

(٥) حروف ذلق اللسان (الراء واللام والنون)

يشير ابن دريد – عن بعض النحويين – إلى أن: " النون تحت حافة اللسان من الشدق الأيمن واللام قريبة من ذلك، والراء، إلا أن الراء أدخل منه بطرف اللسان في الفم "[٧].

فيما سبق إشارة إلى مخرج النون: " تحت حافة اللسان اليمنى "، ولم اليمنى؟، ويبدو أن هذه العبارة غير دقيقة، فها هو الخليل يحدد مخرج هذه الحروف الثلاثة بقوله: " والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان

---

(١) العين ١/ ٥٨.

(٢) العين ٤/ ٤٣٣، نهاية القول المفيد ص ٣٦.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٤) المقتضب ١/ ١٩٣.

(٥) التجويد والأصوات ص ٦١.

(٦) ينظر في ذلك: أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٢٨، المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١٢٢، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٦٦ – ٦٧.

(٧) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

Scanned with CamScanner

وهو تحديد طرفي ذلق اللسان " [١].

وكذلك يقول سيبويه: " ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء "[٢]. وتبعه ابن جني في ذلك[٣] أيضاً.

وللمحدثين نصيب في الحديث عن كيفية مخرج هذه الأصوات، حيث يقول بعضهم: "اللام والراء والنون، وتخرج كل منهن بامتداد ذلق اللسان، وهو مستدق طرفه المسحوب نحو أسلته، حتى يلتقي بأعلى لثة الثنايا العليا، ثم يتخذ هواء كل منهن سبيلا أو هيئة في خروجه مختلفة عما يتخذه الآخران"[٤].

(٦) حروف طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وصفحاتها (الطاء والدال والتاء):

نقل ابن دريد – عن بعض النحويين – مخرج التاء والدال والطاء فقال: "ثم التاء والدال والطاء من طرف اللسان وأصول الثنايا "[٥].

أصاب ابن دريد – فيما نقله عن النحويين – في تحديد مخرج كل الطاء والدال والتاء، وهو ما ذكره سيبويه بقوله: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء "[٦].كما نقل ابن جني العبارة السابقة [٧].

أما الخليل بن أحمد فقد أطلق عليها الحروف النطعية، فقال: " والطاء والدال

---

(١) العين ١/ ٥٨.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٤) المختصر في أصوات اللغة العربية ص١٢٣، فقه اللغة د. على وافي ص ١٢٩، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٦١، علم اللغة العام / الأصوات د. كمال بشر ص ١٣٠.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٧) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦، التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ص ٥٢، وما بعدها.

Scanned with CamScanner

والتاء نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى[١]".وقد: " سماهن الخليل بذلك نسبة إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كُنّ يخرجن من نطع الغار الأعلى وهو سقفه نسبه إليهن "[٢].

وكأن الخليل يقصد بالغار الأعلى، هذا الجزء أي - ما بين اللسان والغار- هو الذي ينحصر فيه الهواء عند نطق الطاء (وأختيها)، فكأنهن يتولّدن فيه "[٣].

وقرر المحدثون - كذلك - أن (الطاء والدال والتاء): " يخرجن بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وأعلى صفحاتها - أي دون أطرافها - التقاء محكما، ونقصد بأصول الثنايا ما يشمل لثتها المغطية لجذورها، فهي لسانية من جهة، وأسنانية من جهة أخرى [٤]".

يؤكد ذلك د. كمال بشر بقوله: " ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، ومعنى ذلك أنها أصوات أسنانية لثوية بالتعبير الحديث، وهذا وصف دقيق يناسب نطقنا الحالي لهذه الأصوات "[٥].

ولذا كان ابن دريد - فيما رواه عن النحويين- متفقا مع ما قرره القدماء والمحدثون في تحديد مخارج هذه الأصوات الثلاثة (الطاء والدال والتاء).

(٧) حروف الشفة مع الأسنان (الفاء)

نقل ابن دريد عن النحويين مخرج الفاء بقوله: " ثم الفاء، وهي من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا "[٦]، وهذا التعبير دقيق، بخلاف ما صرح به ابن دريد (نفسه) قبل ذلك، وقد أشرنا إليه في موضعه.

---

(١) العين للخليل ١/ ٥٨، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ١٦٤، وينظر: أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٢٩.

(٢) الرعاية ص ١٤٠.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية هامش ١ ص ١٣٨.

(٤) السابق / ذاته، فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ١٢٩، فن الترتيل وعلومه للشيخ أحمد الطويل ٢/ ٦٥٦.

(٥) علم اللغة العام د. كمال بشر ص ٥٢.

(٦) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

Scanned with CamScanner

وهنا يلتقي تحديد ابن دريد فيما نقله عن النحويين مع أئمة اللغة جميعا، حيث ذكر القدماء أن الفاء تخرج: " من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا " [١] وكذلك ذهب المحدثون [٢].

(٨) الحروف الشفوية (الواو- الباء – الميم):

ذكر ابن دريد نقلا عن بعض النحويين أن " الواو والباء والميم من بين الشفتين[٣]"، وهذا التحديد يتفق مع ما ذكره اللغويون، كسيبويه[٤] وابن جني[٥]، وسار المحدثون على هذا التحديد أيضاً[٦].

غير أنه يلاحظ أن ابن دريد نفسه – في موضع سابق- يختلف مع غيره في تحديد مخارج هذه الأصوات الثلاثة (الواو – الباء – الميم) عن اللغويين، حيث ذكر أن "الفاء والباء والميم يخرجن من الشفة، لا عمل للسان في هذه الأحرف الثلاثة، وإنما عملهن في التقاء الشفتين "[٧].

وهذا التحديد الذي ذكره غير دقيق لسببين:

الأول: أن الفاء خاصة بباطن الشفة السفلى فقط، ونرى أنه قد أشركها مع الباء والميم، وهذا غير صحيح.

الثاني: أنه لم يذكر الواو ضمن الحروف الشفوية، وإنما أشار إلى أنها من المعتلات مصاحبة للياء والألف والهمزة، وهذا أمر يحتاج إلى مراجعة.

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٥٦، نهاية القول المفيد ص٣٧.

(٢) ينظر في ذلك: التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ص٥٢، علم اللغة العام د. كمال بشر ص٩٢، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٤٠، المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل ص ١٥٠.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨.

(٦) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٢٩.

(٧) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

Scanned with CamScanner

(٩) من الخياشيم (النون الخفيفة)

أشار ابن دريد - عن النحويين - إلى مخرج النون الخفيفة بقوله: " ثم النون الخفيفة، وهي من الخياشيم، لا عمل للسان فيها "(١).

تتفق ابن دريد - فيما نقله- مع اللغويين في مخرج النون الخفيفة،وهي من الخياشيم(٢).

وأطلق عليها ابن جني " الخفية " أيضاً، وفرّق بينها وبين النون المتحركة بقوله: "ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة، ويقال: الخفية، أي الساكنة... وبدلك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم، أنك لو أمسكت بأنفك، ثم نطقت بها لوجدتها مختلة، وأما النون المتحركة فمن حروف الفم، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف "(٣).

يؤكد صاحب نهاية القول المفيد ذلك بقوله: " الخيشوم، وهو أقصى الأنف، ويخرج منه أحرف الغنة، وهي النون الساكنة والتنوين حالة إدغامها بغنة أو إخفائهما "(٤).

وأما عبارة ابن دريد: " لا عمل للسان فيها " هذا كلام صحيح، لأن الخيشوم هو الخرق أو الفجوة الذي تكون بين الفم والأنف، ويخرج منه النفَس، ويبدو أنه سمى الأنف كله خيشوما من باب تسمية الكل باسم الجزء.

ولعله أخرج النون الخفيفة من دائرة مخرج النون المظهرة (المتحركة)، حيث يكون لطرف اللسان عمل في المظهرة، حيث تخرج الأخيرة: " بامتداد طرف اللسان حتى يستقر أعلى لثة الثنايا العليا، مع خروج هوائها كله وصوتها من الأنف "(٥).

ثم يوضح أحد المعاصرين أهمية النون والتنوين عند التقائهما بالحروف، فقال: "للنون الساكنة والتنوين - في التقائهما بالحروف الأبجدية - أهمية

---

(١) السابق / ذاته.
(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٤.
(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨.
(٤) نهاية القول المفيد ص ٣٧، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٢٩.
(٥) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١١٧.

Scanned with CamScanner

خاصة، لكثرة تردد النون وكثرة أحوالها في ذلك الالتقاء، ثم لما قد يصحبها من غنة في أدائهما – والغنة: صوت خيشومي يكسو الكلام نغمة محببة "[١].

(١٠) حروف طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا(الظاء والثاء والذال).

ما نقله ابن دريد عن النحويين يتفق مع ما ذكره اللغويون في تحديد مخرج الظاء والثاء والذال بقوله: " ثم الظاء والثاء والذال بطرف اللسان وأطراف الثنايا"[٢]، وهذا ما أشار إليه القدماء[٣]، والمحدثون أيضاً[٤].

(١١) أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس (الضاد)

أولاً: نقل ابن دريد – عن النحويين – مخرج الضاد بقوله: " ثم الضاد من وسط اللسان مما يليه إلى الحافة اليمنى "[٥].

هذا الكلام يتناقض مع ما ذكرناه آنفا عن ابن دريد، حيث ذكر أن الضاد تخرج من مخرج " الظاء والثاء والذال "[٦]، وسبق أن ذكرنا أن هذا التحديد غير صحيح إلا إذا كان يتحدث عن ضاد ضعيفة، تشبه الظاء، وإلا فتحديده غير دقيق، لذا وصفها سيبويه بالضعيفة حيث قال: " إلا أن الضاد الضعيفة تُتكلّف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه. وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين، وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل

---

(١) السابق ص ٢٢١.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٤) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١٤٦، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص١٢٩ الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٤٥، علم اللغة العام د. كمال بشر ص ٩٢.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٦) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

Scanned with CamScanner

حين تخالط حروف اللسان "(١).

وتابعه: عبارة ابن دريد - هنا- غير دقيقة أيضاً، لأنه حدّد مخرج الضاد "من وسط اللسان مما يليه إلى الحافة اليمنى " فلِمَ اقتصر على الحافة اليمنى فقط؟ وإخراجها من الحافتين ممكن، ومن ثم يؤكد المبرد ذلك بقوله: "ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر "(٢).

وفصل القول في ذلك بعض اللغويين بقوله: " إن الضاد تخرج ما بين إحدى حافتي اللسان، وما يحاذيها من الأضراس العليا، وأول تلك الحافة مما يلي الحلق ما يحاذي وسط اللسان، بعيد مخرج الياء، وآخرها ما يحاذي آخر الطواحن من جهة الفم، وخروجها من الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالا، ومن الجانبين معا أعز وأعسر... وكان -صلّى الله عليه وسلّم- يخرجها من الجانبين أيضاً، وبالجملة:هي أصعب الحروف وأشدها على اللسان "(٣)وهذا ما قرره المحدثون(٤) أيضاً.

ونظرا لعدم التمكن من أداء النطق القديم لصوت الضاد أصابه التطور، يقول بعضهم: " والذي نستطيع تأكيده- هنا- هو أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور، حتى صارت إلى ما نعهده من نطق في مصر... وبعض المغاربة ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة "(٥).

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٢.

(٢) المقتضب للمبرد ١/ ١٩٣.

(٣) نهاية القول المفيد ص ٣٤ - ٣٥.

(٤) ينظر: التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ص ٥٦، الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص٤٦، المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل، ص ١٣٠، دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص ٣٤٨، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٥٨، فن الترتيل وعلومه للشيخ أحمد الطويل ٢/ ٦٠١.

(٥) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٤٦.

المبحث الخامس: صفات الحروف في ضوء ما ذكره ابن دريد

يقول ابن دريد: " وإنما خالف بين هذه الحروف المتقاربة حتى اختلفت أصواتها: الهمس والجهر، والشدة، والرخاوة "(١).

من خلال الفقرة السابقة التي ساقها ابن دريد يلاحظ عليه ما يلي:

أولاً: الهمس والجهر لا علاقة لهما بالمخرج، وإنما الذي له علاقة به هو الشدة والرخاوة، فالهمس والجهر ناتجان من وضع الوترين الصوتيين، يقول أحد المعاصرين: " الجهر: زمير يصحب الحرف حين نطقه، والهمس هو عدم إصحاب الحرف زميرا عند نطقه ".

فإذا كان الزمير مخالطا للأصوات فهي مجهورة، وإذا لـم تجد معها زميرا فهي مهموسة(٢).

أما الشدة والرخاوة فلهما علاقة بمخرج الصوت، حيث تكون: "الشدة: حبس النفس في مخرج الحرف آن نطقه. ويكون ذلك بإغلاق مجرى النفس عند مقطع الحرف، أي: مخرجه "(٣). أو: " أنه الحرف الذي يمنع الصوت (الهواء) من أن يجري فيه كالقاف والطاء "(٤).

أما الرخوة: " فهو الذي يجري فيه الصوت(الهواء) كالسين والشين والحاء"(٥).

وبتعبير آخر، يقال إن الرخاوة: " جريان النفس ونفاذه من مخرج الحرف آن نطقه، ويكون ذلك: إذا تولد الحرف بتضييق مجرى النفس عند مقطع الحرف، أي: مخرجه"(٦).

ثانياً: ومع عدم دقة ابن دريد في تعليل الجهر والهمس، غير أنه أصاب في

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل ص ٦٥.

(٣) السابق / ذاته (بتصرف).

(٤) السابق ص ٦٧.

(٥) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٤٢.

(٦) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٦٧.

Scanned with CamScanner

عدد حروف كل منهما، فحروف الهمس عشرة جمعها قولهم: " سكت فحثه شخص، أما حروف الجهر فتسعة عشر حرفا مجموعة في قولهم: " ظل قوربض إذ غزا جند مطيع"[١]، وهذا ما نكره هنا.

ثالثاً: يمكن أن يكون ابن دريد اغتر بتعريف سيبويه للهمس، وهو " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه "[٢]، أما المجهور -عند سيبويه- فهو: " حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت "[٣].

والإشباع يعني به القوة، وهذا ما رآه بعض لغوييننا المعاصرين بقوله: "يظهر أن الإشباع والإضعاف كما يبدو من المقابلة بينهما، ووضوح معنى الثاني منهما إذ إن معنى الإضعاف سلب القوة، ويمكن فهمها على النحو التالي:

الإشباع = التقوية Stremq thening

الإضعاف = إزالة القوة Weekening

وبتعبير آخر: أن إشباع الاعتماد يعني- هنا- تقوية الضغط وزيادة الحفز، وإضعافه يعني تقليل الضغط أو الحفز [٤].

ونستأنس- في ذلك- برأي أحد المعاصرين، حيث أشار إلى أن مرجع الضمير في تعريف سيبويه: " في موضعه يريد إلى " الاعتماد " ذاته.. فإشباع الاعتماد يكون في موضع الاعتماد.. ولا يصطدم هذا لفقدان الرابط بين جملة الصفة (أشبع الاعتماد) والموصوف (حرف)، فإن الألف واللام في "الاعتماد " بدل من الضمير الرابط، على حد ما في حديث أم زرع:

" زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب " أي مسه وريحه، ويكون التقدير: المجهور: حرف أشبع اعتماده في موضع الاعتماد.

وتحديد موضع الاعتماد أشارت إليه بقية كلام سيبويه، فهو الموضع الذي

---

(١) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٦٦، شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٣٥٩.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٤، سر صناعة الإعراب ١/ ٦٠.

(٣) السابق / ذاته.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ٦٠-٦١.

Scanned with CamScanner

يتحدد فيه كون الهواء الخارج صوتا (في المجهور) أو نفسا (في المهموس)، ولم يحدد سيبويه هذا الموضع صراحة، كما أنه لم يدرك الكيفية التي يحدث بها التصويت في هذا الموضع الذي هو الحنجرة، حيث تضيق في حالة التصويت فتحة المزمار إلى الحد الذي يضطر الهواء إلى الخروج بمزاحمة محدثا نبذبة في الأوتار الصوتية، فإذا ما انقضى الضغط أو الاعتماد وخرج الصوت، أي انتهت عملية الجهر رجعت الأوتار إلى حالتها الطبيعية فجرى الهواء الخارج نفسا "[١].

كما أنه يفهم من خلال ما ذكره سيبويه لتعريف الجهر والهمس ما يلي:

أولاً: أنه لم يكن يعرف وظيفة الأوتار الصوتية في الجهر والهمس.

ثانياً: يرى أن الجهر جاء نتيجة تقوية الضغط، كما أن الهمس جاء نتيجة لإضعافه.

ثالثاً: أن الجهر مظهره (الصوت) وأن الهمس مظهره النفس [٢].

رابعاً: أن الصوت المجهور أقوى وأوضح في السمع من نظيره المهموس، كما استفيد مما ذكره سيبويه وابن جني من أن الصوت المهموس غير واضح في السمع، وأن الوترين الصوتيين يحدث بينهما ابتعاد أحدهما عن الآخر بحيث لا يهتزان ولا يتنبذبان، ويخرج الهواء من بينهما حرا طليقا.

وهذا ما أكده بعض المحدثين بقوله: " أما في حالة المهموس فقد عبر عنها سيبويه بضعف الاعتماد، أي عدم تمكن الصوت في أثناء جريانه في مجراه، مما يترتب عليه قلة وضوحه، كذلك نجد طريق التنفس معه مفتوحا، بحيث يسمح بانسيابه حرا طليقاً، وتلك هي الحال التي عبر عنها المحدثون بقولهم: إن الوترين الصوتيين مع المهموس يبتعد أحدهما عن الآخر، فينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما، وإحداث نبذبات بهما "[٣].

غير أن الحروف المهموسة لم تكن على درجة واحدة من الضعف، إذ " أن

---

(١) رد الإلحاد في النطق بالضاد، د. الموافي الرفاعي ص ٧ – ٨.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦١.

(٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ١٢٤ – ١٢٥، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٣٥- ١٣٦.

Scanned with CamScanner

بعضها لضعف من بعض في الهمس، فالصاد والخاء أقوى من غيرها، لأن في الصاد إطباقا واستعلاء وصفيرا، وكلها من صفات القوة، وفي الخاء استعلاء"(١).

خامساً: يمكن معرفة الحرف المجهور من غيره، إما عن طريق استمرار الزمير مع الحرف، وإما عن طريق وضع الأصابع على الحنجرة من الخارج، أي تحت الذقن، ونطق الحرف ساكنا، فإن شعرت الأصابع بأزيز عند النطق فهو مجهور، وإلا فهو مهموس (٢).

وذكر ابن دريد الحروف المهموسة، وهي: الهاء والحاء والكاف والخاء والسين والشين والثاء والصاد والتاء والفاء " (٣).

وقد أصاب ابن دريد في حصر الحروف المهموسة، وهي عشرة، وقد جمعها اللغويون القدماء والمحدثون كذلك في قولهم: " سكت فحثه شخص"(٤).

ثانياً: الشدة والرخـــاوة:

قبل الحديث عن الحروف الشديدة، ينبغي أن نذكر تعريف سيبويه للشدة، فيقول: " وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء " (٥).

ويفسر ابن جني الشديد والرخو بقوله: " ومعنى الشديد: أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، ألا ترى أنك لو قلت: الحقّ والشطّ، ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا. والرخو: هو الذي يجري فيه الصوت، ألا ترى أنك تقول: المسّ، والرّشّ، والشّحّ، ونحو ذلك، فتمد الصوت

---

(١) نهاية القول المفيد ص ٤٥، الرعاية ص ١١٦.

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٦٦.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٦٠، التجويد والأصوات ص ٧٣، الرعاية ص١١٦، نهاية القول المفيد ص ٤٥، المختصر في أصوات اللغة العربية ص٦٦، دروس في علـم الأصـوات لجان كانتينو ص ٣٥.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٤ – ٤٣٥.

جاريا مع السين والشين والحاء "[١].

بعد أن بيّنا معنى الشدة والرخاوة ينبغي أن نذكر ما أشار إليه ابن دريد في هذا الصدد، ونجلي ذلك على النحو التالي:

أولاً: يقول ابن دريد: " والحروف الشديدة: الطاء والشين والجيم، وغير ذلك مما تقدر أن تشدّده إذا لفظت به "[٢].

من خلال العبارة السابقة التي ذكرها ابن دريد يلاحظ عليه أمران:

١) أنه جعل حرف " الشين " من الحروف الشديدة، وهذا خطأ، لأنه حرف رخو لا شديد، وقد سبق أن عدّها هو في الرخاوة هنا، ولم يقل أحد من علماء اللغة أن الشين شديدة، وإنما هي رخوة باتفاق جمهور العلماء.

٢) قوله: " مما تقدر أن تشدده إذا لفظت به " معنى التشديد: تضعيف الحرف، والحروف الصحيحة كلها (شديدها ورخوها " يمكن تشديده. هذا على الفهم لظاهر لفظ التشديد، لكنه إذا ما قدرنا انصراف معنى التشديد لدى ابن دريد إلى حبس النفس وما يترتب عليه من تشديد = تقوية للحرف الشديد، فإنه يمثل ذلك تبرأ ساحة ابن دريد من مثل هذا المأخذ.

والعبارة التي ذكرها ناقصة، تحتاج إلى إضافة قيد (عدم جريان الصوت في المخرج عند التشديد)، لأننا لو قلنا الحق بالتشديد امتنع الصوت من الجريان في المخرج، ولذا فالقاف شديدة، أما إذا شددنا وجرى الصوت في المخرج كان رخوا، كما تقول الحظ، كما ذكر ابن جني[٣].

فعبارة ابن دريد مضطربة، لأنه- في الظاهر قد خلط بين صفتي الشدة (بمعنى التضعيف)، وبين حروف الشدة المتعلق بعدم جريان الصوت، يقول مكي: ومعنى الحرف الشديد: أنه حرف اشتد لزومه لموضعه وقوى فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به " [٤].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٦١.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٦١.

(٤) الرعاية ص ١١٧.

Scanned with CamScanner

ولذا فإن فندريس يفسر مراحل الصوت الشديد بقوله: " الصوت الشديد أو الانفجاري ثلاث مراحل: الإغلاق أو الحبس، ثم الإمساك،ثم الفتح أو الانفجار " (١).

كما أن هناك فرقا بين الحرف الشديد والرخو كما يقول أبو سعيد السيرافي: " الرخو ضد الشديد، والفرق بينهما أن الحرف الشديد إذا وقفت عليه انحصر الصوت. وفي الرخوة إذا وقفت لم ينحصر، تقول: اقْ فتجد القاف منحصرا، وتقول: احْ، فتجد الحاء جاريا "(٢).

ثانياً: أشار ابن دريد إلى الحروف الرخوة " وهي: الهاء والحاء والكاف والخاء والسين والشين والعين والغين والصاد والضاد والظاء،والذال والثاء والفاء والزاي"(٣).

ولنا مأخذان على كلام ابن دريد، حيث عدَّها خمسة عشر حرفا، وهذا غير صحيح، لمخالفته اللغويين في هذا الصدد لاعتبارين:

١) أنه جعل صوت " الكاف " من الحروف الرخوة، وليس الأمر كذلك لأن "الكاف " لا تسترخي في المجرى بتعبيره هو، بل هي من الحروف الشديدة، يقول سيبويه: " ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو: الهمزة والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء، وذلك أنك لو قلت (الحجّ) ثم مددت صوتك لم يجز ذلك"(٤).

ويمكن أن يفسر تعريف سيبويه السابق للشدة يعني: " أنه انحباس مؤقت نحس به في مخرج الحرف لحظة قصيرة جداً، بسبب التقاء العضوين التقاء محكما، فإذا انفرجا فجأة سمعنا ما يسمى بالصوت الشديد، وما يسميه الأوربيون بالصوت الانفجاري " (٥).

إذاً: جانب الصواب ابن دريد في عدّ الكاف ضمن الحروف الرخوة، وإنما هي شديدة باتفاق القدماء والمحدثين، وما عدا الكاف مما ذكر حروف الرخاوة.

---

(١) اللغة – فندريس ص ٤٨.

(٢) رد الإلحاء في النطق بالضاد ص ٦٨.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٤، الرعاية ص ١١٧ – ١١٨، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٠٢، علم اللغة العام / الأصوات ص ٩٩.

(٥) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ١٢٥ – ١٢٦.

Scanned with CamScanner

١) عدّ ابن دريد حرف " العين " من الحروف الرخوة، بينما ذهب القدماء إلى أنها حرف متوسط بين الشدة والرخاوة، وهي مجموعة في قولك: " لم يرو عنا " كما يقول ابن جني: " والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً، وهي: الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو "[١].

وكذلك يقول مكي بن أبي طالب القيسي: " الحروف الرخوة، وهي ثلاثة عشر حرفا يجمعها قولك: " ثخذ ظغش زحف صه طس "، وهي ما عدا الشديدة [أجدك قطبت]، وما عدا هجاء قولك " لم يرو عنا "[٢].

وأضاف ابن دريد – إلى ذلك – صوتي " الكاف " وهي شديدة باتفاق جمهور اللغويين، و" العين "، وهي محل تفصيل واختلاف بين اللغويين.

بينما جعل سيبويه حرف (العين) بين الشديدة والرخوة، حيث قال: " وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"[٣].

ويرى بعض المعاصرين أن الحرف المتوسط: " هو الذي يسمح للهواء بالمرور الخفيف حال النتوه به، وحروفه عندهم جمعت في هذا الضابط (لن عمر)، ونظرا لكونه متردداً بين منع الهواء والسماح له بالمرور أطلق عليه المحدثون اسم (المائع)، وحروفه هي التي ارتضاها الأقدمون، عدا (العين) فلم يتضح لديهم أمرها "[٤].

كما يبدو أن هذه الحروف سميت بذلك لأن " الصوت لم يجر معها جريانه مع الرخوة، ولم ينحبس انحباسه مع الشديدة، وتسمى هذه الحروف بينية، أي بين الشدة والرخاوة، لجرى بعض الصوت معها وانحباس بعضه، فنسب إلى بين بين، وهو محل التوسط بين الشيئين "[٥].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٦١.

(٢) الرعاية ص ١١٩.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(٤) التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ص ٧٥.

(٥) نهاية القول المفيد ص٤٧، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٢٤- ٢٥، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ١٤٣.

Scanned with CamScanner

غير أن بعض لغوييننا المعاصرين يرى أن الحروف التي عُدَّت وسطا بين الشدة والرخاوة إنما هي من قبيل الرخوة، وعبارته: " ونحن نرى أنه ما دام فيصل الوصف بالشدة أو الرخاوة هو منع النفس أو خروجه عند النطق بالحرف، فيجب أن تعد هذه الحروف رخوة، لأن النفس يخرج معها "(١). وعلى هذا الرأي يكون ابن دريد قد أصاب في عدّ (العين من الحروف الرخوة إذا اعتُبِر منع النفس أو خروجه عند النطق بالحرف فيصلا لذلك).

ثالثاً: حروف المد واللين:

يقول ابن دريد عند حديثه عن حروف المد واللين: " وأما حروف المد واللين فثلاثة لا غير: الواو والياء والألف، وإنما سميت لينة، لأن الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترنم في القوافي وغير ذلك، وإنما احتملت المد لأنها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى الصوت فيها "(٢).

اتفق ابن دريد مع اللغويين في تعليل تسميتها بحروف المد واللين(الألف - الياء - الواو)، كذلك أطلق عليها الخليل بن أحمد بأنها هوائية، فقال: "الألف اللينة، والواو، والياء، هوائية، أي أنها في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف "(٣).

يؤكد سيبويه ذلك بقوله: " ومنها: الهاوي، وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو " (٤).

وقيدت حروف المد واللين (الألف - الياء - الألف) بأن يكون كل منها ساكنا، مفتوحا ما قبل الألف، مكسورا ما قبل الياء، مضموما ما قبل الواو، يقول الشيخ محمد مكي نصر: " الألف ولا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٦٨.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٣) العين ١/ ٥٧، الرعاية ص ١٢٧.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٥ - ٤٣٦، شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٦١.

Scanned with CamScanner

مفتوحا، وثانيها: الواو الساكنة، المضموم ما قبلها، وثالثها: الياء الساكنة المكسور ما قبلها، وتسمى هذه الحروف الثلاثة حروف مد ولين، لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان، لاتساع مخرجها، فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت فيه وامتد ولان... ويقال لها: الحروف الجوفية والهوائية"(١).

ولم يختلف المحدثون مع القدماء، ووافقهم ابن دريد أيضاً في تلك التسمية، وكذلك موضع خروجها (٢).

رابعاً: حروف الإطباق:

يقول ابن دريد: " والحروف المطبقة: الصاد والضاد والطاء، والظاء، لأنك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها "(٣).

أصاب ابن دريد في تحديد الحروف المطبقة (الصاد والضاد والطاء والظاء) متفقا في ذلك مع جمهور علماء اللغة، غير أن تعليله لتسمية ذلك من لفظ الإطباق غير صحيح لما يلي:

أولاً: الصواب أن ذلك مأخوذ من اسم منطقة الطبق، وهو مؤخر سقف الحنك، يقول سيبويه: " فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء..وهذه الأحرف الأربعة إذا وضعت لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى مواضع الحروف... فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان " (٤).

ونستأنس -في ذلك- بما أشار إليه أحد المعاصرين من قيمة ملاحظة سيبويه بقوله: " **وهذه ملاحظة لها قيمتها، حيث إن الصوت المطبق يحدث بحركة جزءين من اللسان.**

الأول: الجزء الأمامي منه.

---

(١) نهاية القول المفيد ص ٣٢.

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٩١- ٩٣، أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار حامد هلال ص١٢٧.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٦.

Scanned with CamScanner

الثاني: الجزء الخلفي الذي يرتفع نحو منطقة الطبق، محدثا تقعرا في اللسان مسقوفا بالحنك الأعلى، فتتشكل حجرة رنين متسعة، يأخذ فيها الهواء أثرا سمعيا خاصا هو ما نسمعه في حالة الإطباق. فالإطباق - إذا - وصف لصوت لا يخرج من منطقة الطبق، بل يخرج من مقدم اللسان، وتلعب منطقة الطبق دوراً هاما في تشكيله "[١]، وهذا التعليل هو الصواب.

** كما أن هناك تعليلات أخرى أقرب إلى الضعف لا إلى الصواب:

ومنها: يقول الشيخ زكريا الأنصاري: " الإطباق لغة الالتصاق، سميت حروفه مطبقة لانطباق طائفة من اللسان بها على الحنك عند النطق بها"[٢].

فليس معنى التصاق طائفة من اللسان بما يحاذيها من الحنك الأعلى أن يكون الصوت مطبقا، وإلا كان كل من القاف والدال مطبقا، على أن الالتصاق التام في حروف الإطباق غير متحقق إلا في الطاء، أما في غيرها فلا يلتصق اللسان بما يقابله، حيث هي حروف رخوة "[٣].

** ومن ذلك ما ذكره صاحب نهاية القول المفيد، وعبارته: " الإطباق ومعناه لغة الإلصاق، واصطلاحا: هو إطباق أي تلاصق بما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند التلفظ بالحرف "[٤].

وهذا التعليل لا يمكن أن " نسلم به، إذ إن سقف الحنك أو الحنك الأعلى كالطبق فوق اللسان دائما، فليس بعض الحروف- بناء على ذلك - بأولى من بعض في الوصف بالإطباق "[٥].

ثانياً: أنه لا علاقة للإطباق بمنع النفس من الجريان - كما ذكر ابن دريد- لأن هذه الأصوات الأربعة منها ثلاثة حروف مجهورة هي (ض- ط- ظ) وهذه يجري معها الصوت الذي هو زمير الجهر، وواحد مهموس هو (ص) وهذا

---

(١) رد الإلحاد في النطق بالضاد ص٩.

(٢) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة - زكريا الأنصاري ص ١٧، وينظر رد الإلحاد ص٩.

(٣) رد الإلحاد في النطق بالضاد هامش (٢) صـ ٧٠.

(٤) نهاية القول المفيد ص ٦٤.

(٥) رد الإلحاد في النطق بالضاد هامش (٢) ص ٧٠- ٧١.

يجري معه النفس، ومن ثم فإن عبارة ابن دريد خطأ وغير دقيقة.

ثالثاً: أغفل ابن دريد الحديث عن عكس صفة " الإطباق، وهي: "الانفتاح "، ولم يشر إليه ولا إلى حروفها مع جلائها ووضوحها.

والانفتاح يعني به: عدم ارتفاع أقصى اللسان أو طرفه عن الحنك (عكس الإطباق)، يقول الشيخ محمد مكي نصر: " الحروف المنفتحة خمسة وعشرون حرفا، مجموعة في قولهم: " من أخذ سعة فزكا حق له شرب غيث"[١].

وسميت بالمنفتحة، لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها[٢]، وهذا ما نبه عليه سيبويه[٣] أيضاً.

ومن ناحية القوة والغلظ نجد أن " الإطباق – في تكوين الصوت- أثقل من الانفتاح، ولذا فإن له غلظا وقوة، ويكسب صوت الحرف ضخامة "[٤].

خامساً: الاستعلاء والاستفال:

يلاحظ على ابن دريد أنه لم يذكر – من خلال مقدمة جمهرته- صفتي الاستعلاء والاستفال، ومما تجدر الإشارة به- هنا- الحديث عنهما في ضوء ما ذكره الأقدمون والمحدثون. فالاستعلاء يُقصد به: العلو والارتفاع، وعند علماء التجويد والأصوات يدل على " ارتفاع أقصى اللسان عند النطق بالحرف" وحروفه مجموعة في قولهم: " خص ضغط قظ ".

يعبر عن ذلك ابن جني بقوله: " وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض (الاستفال)، فالمستعلية سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والظاء، ومعنى الاستعلاء: أن تتصعّد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها "[٥].

---

(١) نهاية القول المفيد ص ٥١- ٥٢.

(٢) الرعاية ص ١٢٣.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٦.

(٤) المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل ص ٧٦.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٦٢، المختصر في أصوات اللغة العربية ص٧٤، رد الإلحاد في النطق بالضاد ص١٠ ؛ أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار حامد هلال ص ١٤٥.

Scanned with CamScanner

ويبدو أن: " ارتفاع أقصى اللسان يكلف جهدا أكثر من ارتفاع طرفه، ولذا فهو أثقل، ويناسب المعاني القوية "[١].

وسبب تسميتها بذلك: " لخروج صوتها من جهة العلو، وكل ما حلّ في عالٍ فهو مستعل "[٢].

كما يعد الاستعلاء: " من صفات القوة... وهي حروف التفخيم على الصواب، وأعلاها الطاء، كما أن أسفل المستفلة الياء "[٣].

ومعنى الاستفال عكس معنى الاستعلاء، فإذا كان الاستعلاء علوا أو ارتفاعا أو تصعّدا فإن الاستفال انخفاض وانحطاط لأقصى " ولا يستعلى لدى النطق بها، بل يستفل في قاع الفم "[٤] وحروفه: ما عدا المستعلية: "وهي اثنان وعشرون حرفا، جمعها بعضهم في بيتين:

خذ حروف الاستفال واتركن من قال إفكا

بثث عزَّ وجلَّ من يُجوّ دحرفه إذ سل شكا

وسميت هذه الحروف مستفلة لأن اللسان لا يستعلى بها إلى الحنك الأعلى عند النطق بها [٥].

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية ص ٧٤.

(٢) نهاية القول المفيد ص ٤٩.

(٣) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٠٢.

(٤) الرعاية ص ١٢٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٦٢.

(٥) نهاية القول المفيد ص ٥٠، دروس في علم الأصوات ص ٣٧.

Scanned with CamScanner

المبحث السادس: مقارنة بين ابن دريد وغيره في ترتيب الأصوات

آثرنا أن نعقد مقارنة بين ما أشار إليه ابن دريد، وكذلك ما نقله عن طائفة من النحويين، وبين الخليل، وسيبويه وابن جني، في كيفية ترتيبهم للأصوات، حتى نتمكن من الوقوف على أوجه اختلافهم أو اتفاقهم في هذا الصدد، مع مراعاة ترتيب الأصوات عند كل منهم: ونجلي ذلك على النحو التالي:

أولاً: حروف الحلــق:

أ- رتّب الخليل بن أحمد الأصوات الحلقية على النحو التالي:

" العين – الحاء – الهاء – الخاء – الغين " (١).

ب- وعند سيبويه: "الهمزة- الهاء- الألف- العين- الحاء- الغين- الحاء"(٢).

ج- أما ابن دريد فقد كرر الحديث عن مخارج الحروف، من خلال وجهه نظره هو: " الهمزة- الهاء – الحاء- العين – الغين – الخاء "(٣). ثم نقل ترتيب الأصوات عند بعض النحويين هكذا " الهاء – الهمزة – الألف – الحاء- العين – الغين – الخاء "(٤).

د – وجاء ترتيب الحروف الحلقية عند ابن جني على النحو التالي: "الهمزة – الألف – الهاء – العين – الحاء – الغين – الخاء "(٥).

من خلال ترتيب الأصوات الحلقية في ضوء ما قدمه ابن دريد وغيره يتضح الآتي:

أولاً: أن الخليل بن أحمد لم يعد الهمزة – في الترتيب – ضمن حروف الحلق، وإنما جعلها هوائية مع الألف والواو والياء، وهذا يتنافى مع ما صرح به، حيث قال: " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف من غير طريقة الحروف الصحاح"(٦).

---

(١) العين ١/ ٥٨.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٦.

(٤) السابق ١/ ٨.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦.

(٦) العين ١/ ٥٢.

Scanned with CamScanner

ثانياً: خالف سيبويه الخليل بن أحمد في نظام ترتيب حروف الحلق حيث بدأ بالهمزة، ثم الهاء، ثم الألف، ثم العين، ثم الحاء، ثم الغين، ثم الخاء[١].

ثالثاً: وافق ابن جني سيبويه في الترتيب السابق، عدا الألف جعلها بعد الهمزة[٢]. وهذا الترتيب هو الأقرب إلى الصواب إن لم يكن الصواب بعينه.

رابعاً: أما التقسيم الخاص في رأي ابن دريد (نفسه) فقد وافق سيبويه وابن جني، عدا الألف فجعلها من المعتلات مع الياء والواو[٣].

وهناك تقسم خاص ببعض النحويين نقله ابن دريد – فقدّم الهاء (باعتبارها أقصى حروف الحلق) على الهمزة والألف، وهذا غير دقيق، ثم قدّم الحاء على العين مخالفا جمهور العلماء [٤].

ثانياً: حروف أصل اللهاة وأقصى اللسان (القاف والكاف).

اتفق ابن دريد – وما نقله عن النحويين – مع الخليل وسيبويه وابن جني في ترتيب حروف أقصى اللسان، وهي (القاف والكاف) [٥].

ثالثاً: حروف وسط مقدم اللسان (الياء والجيم والشين):

(١) جعل الخليل بن أحمد (الجيم والشين والضاد) من حروف وسط مقدم اللسان، وسماها شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي: مفرج الفم[٦].

ويلاحظ أن الخليل- هنا- جعل مخرج (الضاد) من مخرج (الشين والجيم). وهذا التحديد الذي ذكره الخليل يختلف عما ذكره اللغويون، بالإضافة إلى أنه لم يذكر (الياء)، حيث جعلها من الحروف الهوائية.

(٢) اتفق سيبويه وابن جني في الترتيب بين حروف وسط مقدّم اللسان، حيث جعلا الترتيب (الجيم) ثم (الشين) ثم (الياء)، وهذا الترتيب غير دقيق أو مُسلّم به،

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/٦.

(٤) مقدمة الجمهرة ١/٨.

(٥) السابق ١/٦، العين ١/ ٥٨، الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٦) العين ١/ ٥٨.

والصواب تقديم الياء، ثم تليها الجيم، ثم تليها الشين[١].

(٣) أما ابن دريد[٢] (نفسه) فجعل الجيم، والشين، من حروف أقصى الفم من أسفل اللسان، وهذا التحديد غير دقيق أيضاً، ثم ذكر أن الياء من المعتلات ولم يذكرها هنا.

** نقل ابن دريد عن بعض النحويين أن " الجيم والشين" من اللهاة، والياء من وسط اللسان[٣]، وليس هذا صحيحا، فهذه الحروف تخرج من وسط مقدَّم اللسان – كما ذكرنا آنفا – ولا شك أن الياء تسبق أختيها الجيم والشين.

حروف طرف اللسان:

طرف اللسان يضم نحو شطر الأبجدية، لأنه أكثر مرونة، فتعددت مخارجه، ونشير إلى ذلك على النحو التالي:

رابعاً: حروف ذلق اللسان (اللام والراء والنون)

(١) إن الخليل بن أحمد رتب حروف ذلق اللسان هكذا(الراء) ثم(اللام) ثم(النون) [٤]، وهي ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان، ويلاحظ- هنا- أنه قدّم الراء على اللام والنون.

(٢) اتفق ابن جني مع سيبويه في ترتيب حروف ذلق اللسان (اللام والراء والنون) [٥] وهذا هو الصحيح.

(٣) يلاحظ أن ابن دريد أخّر اللام عن الراء والنون[٦]، وجاء الترتيب عند النحويين (النون) ثم (الراء) ثم (اللام)، فخالفوا جمهور القدماء.

خامساً: من حافتي اللسان أو إحداهما (الضاد)

(أ) سبقت الإشارة إلى أن الخليل[٧] جعل (الضاد) مع(الجيم والشين).

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية ص١١٥.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٦.

(٣) السابق ١/ ٨.

(٤) العين ١/ ٤٨.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٦) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٧) العين ١/ ٥٨.

Scanned with CamScanner

(ب) اتفق سيبويه وابن جني على ترتيب (الضاد) بعد مخرج الياء والجيم والشين[١]..

(ج) أما ابن دريد (نفسه) فكان ترتيب الضاد عنده مع(الظاء والثاء والذال) [٢] وسبق أن ذكرنا أن تعبيره غير صحيح وغير دقيق. إلا إذا قصد ضاداً ضعيفة شبيهة بالظاء.

وهناك تحديد آخر للضاد، نقله ابن دريد عن النحويين يتمثل في أن هذه الحروف تخرج " من وسط اللسان مما يليه إلى الحافة اليمنى "[٣]:.. ولِـمَ قصد الناحية اليمنى فقط ؟ وإخراجها من حافتي اللسان ممكن، كما كان الرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ينطقها من جانبي اللسان معاً، ومن ثم: فإن التعبير -هنا- غير دقيق، ولو أنه لم يخصص جهة بعينها لكان ذلك جائزا ومقبولا.

سادساً: طرف اللسان مع أصول الثنايا (الطاء والدال والتاء).

- جاء ترتيب الخليل وسيبويه وابن جني دقيقا (الطاء) ثم (الدال) ثم (التاء) [٤].

- أما ابن دريد[٥] فقد قدّم التاء على (الطاء) و(الدال)، مخالفا بذلك الترتيب السابق، وفي نقله - عن النحويين - أشار إلى أن " التاء والدال والطاء" من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا [٦].

سابعاً: حروف أسلة اللسان مع صفحتي الثنتين العليتين (الصاد والسين والزاي).

(أ) رتب الخليل بن أحمد هذه الحروف (الصاد والسين والزاي) وسمّاها حروفا أسلية، لأنها تخرج من أسلة اللسان وهو مستدق طرفه [٧].

(ب) خالف سيبويه الترتيب السابق، وبدأ بـــ (الزاي) ثم (السين) ثم

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٨.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/٨.

(٤) ينظر: العين ١/ ٥٨، الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.

(٥) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٦) السابق ١/ ٨.

(٧) السابق ١/ ٨.

Scanned with CamScanner

(الصاد) [١].

(ج) وجاءت ترتيب ابن جني لهذه الحروف هكذا (الصاد) ثم (الزاي) ثم (السين) مخالفا بذلك الخليل وسيبويه [٢].

(د) وخالف ابن دريد (نفسه) الترتيب السابق، فبدأ بـــ (السين) ثم (الزاي) ثم (الصاد)، وأدرجها تحت حروف وسط اللسان مما هو منخفض[٣] وفي ذلك تسامح قليل (لأن عبارته قد يقصد بها: نحو طرف اللسان).

ثم نقل عن النحويين[٤] الترتيب التالي (الصاد والسين والزاي)، مشتركا مع ترتيب الخليل، وهو الصحيح.

ثامناً: حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا (الظاء والذال والثاء).

١- رتب الخليل بن أحمد هذه الحروف فبدأ بـــ (الظاء) ثم (الثاء) ثم (الذال) [٥].

٢- أما سيبويه وابن جني فاختلفا مع الخليل في الترتيب السابق، وعندهما (الظاء ثم الذال ثم الثاء) [٦].

٣- أما ابن دريد وطائفة من النحويين فاعتمدوا ترتيب الخليل السابق (الظاء والثاء والذال) [٧].

تاسعاً: حروف الشفة مع الأسنان: (الفاء):

(١) جعل الخليل بن أحمد (الفاء والباء والميم) شفوية، وعلته في ذلك: لأن مبدأها من الشفة[٨]. ولم يشر إلى أن الفاء تخرج: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا " فتحديده غير دقيق.

---

(١) العين ١/ ٥٨.
(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.
(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.
(٤) السابق ١/ ٨.
(٥) العين ١/ ٤٨.
(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨.
(٧) مقدمة الجمهرة ١/ ٧- ٨.
(٨) العين ١/ ٥٨.

Scanned with CamScanner

(٢) اتفق سيبويه وابن جني على أن " الفاء " من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا [١]، وهذا هو الصواب.

(٣) ونهج ابن دريد (نفسه) نهج الخليل بن أحمد حيث جعل مخرج الأصوات الثلاثة (الفاء والباء والميم) وعملهن يتمثل في التقاء الشفتين[٢] وهذا تحديد عام لا يشمل الفاء، لأنه لا عمل لها إلا في الشفة السفلى فقط، مع أطراف الثنايا العليا.

أما ما نقله عن بعض النحويين من أن " الفاء " تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[٣] فهو الصواب، كما ذكر سيبويه وابن جني.

عاشراً: الحروف الشفوية (الباء والميم والواو الصامتة).

١) لم يشر الخليل إلى " ا لواو الصامتة " بأنها من الحروف الشفوية، وجعل موضع خروجها مع الألف والياء والهمزة، على أنها هوائية لم يكن لها حيز تنسب إليه، وبذلك تكون الحروف الشفوية عنده ممثلة في " الباء " ثم "الميم "[٤] فقط، بالإضافة إلى " الفاء " التي سبق الحديث عنها.

٢) جاء اتفاق سيبويه وابن جني صحيحا للحروف الشفوية، وهي" الباء والميم والواو " [٥].

٣) أما ابن دريد (نفسه) فجعل " الواو " من المعتلات مع الألف والياء[٦].

وما نقله - عن النحويين - يعد صحيحا غير أنهم قدّموا " الواو " ثم (الباء) ثم الميم[٧]، وهذا هو وجه اختلافهم عما أشار إليه سيبويه وابن جني.

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٣) السابق / ذاته.

(٤) العين ١/ ٥٨.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨.

(٦) مقدمة الجمهرة ١/ ٧.

(٧) السابق / ذاته.

Scanned with CamScanner

المبحث السابع: قوانين في تركيب الكلمة

اتخذ ابن دريد قوانين في تركيب الكلمة، نشير إليها على النحو التالي:

أولاً: لا يكاد تُبنى كلمة من ثلاثة أحرف في مخرج واحد، فقال: "واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة "(١).

يفهم من الفقرة السابقة التي ساقها ابن دريد ما يلي:

١) أنه إذا اجتمع في الكلمة حروف تقاربت مخارجها كانت ثقيلة في أدائها.

٢) كما أن الكلمة إذا تآلفت أصواتها من مخارج متباعدة كانت أخف وأسهل في الأداء، يؤكد ذلك أحد لغوبينا المعاصرين بقوله: " وقد استطاع هؤلاء اللغويون أن يفيدوا من دراستهم الصوتية في توضيح معالم البنية العربية، التي تجنح أصواتها إلى التباعد المخرجي، إيثارا للخفة والسهولة، وتأبى اقتراب المخارج، تحاشيا للثقل والصعوبة "(٢).

٣) العبارة التي ذكرها ابن دريد: " لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم " غير دقيقة، وذلك لأن اللسان لا عمل له في حروف الحلق. ومثّل لذلك بقوله: " ألا ترى أنك لو ألّفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها، نحو قولهم في " أم والله ": " هم والله "، وكما قالوا في " أراق وهراق الماء "، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء "(٣).

ويمكن القول: أن إبدال الهمزة هاء جائز ومقبول، لأنهما متجاوران مخرجا كما في قولهم: " أراق " و" هراق الماء " بمعنى: صبّه، وكذلك الإبدال بين الحاء والهاء، لأنهما حلقيتان: الحاء من وسط الحلق، والهاء من أقصاه، ولهذا التقارب

---

(١) مقدمة الجمهرة ٩/١.

(٢) مستويات التحليل اللغوي.. دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة، د. عبد المنعم عبد الله حسن ص ٩٨.

(٣) مقدمة الجمهرة ١/ ٩.

Scanned with CamScanner

اعتقبت الهاء والحاء في ألفاظ عديدة، كما في قولهم: " مده " و"مدح "، و" الأجله " و" الأجلح "[١].

ثانياً: قد يجتمع حرفان في الكلمة من مخرج واحد، وعند ذلك يبدأون بالأقوى منهما، يقول ابن دريد: " فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل: أحد، وأهل، وعهد، ونخع، غير أن من شأنهم إذا أرادا هذا أن يبدأوا بالأقوى من الحرفين، ويؤخروا الألين (الأضعف) كما قالوا: ورل، ووتد، فبدأوا بالتاء على الدال، وبالراء على اللام " [٢].

وهذا ما أكده ابن جني بقوله: "... فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه، نحو: سص، طس، وظث، وثظ، وضش، وشض، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه، وكذلك نحو: قج وجق وكق وقك، وكج وجك، وكذلك حروف الحلق: هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف، أعني حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قُدّم الأقوى على الأضعف، نحو: أهل، وأحد وأخ وعهد وعهر، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما، نحو: أرل ووتد ووطد "[٣].

ثالثاً: الحاء تمتاز عن العين ببُحّة فيها، ولذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة، ونقل ابن دريد عن الخليل قوله: " لولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين، فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة، وكذلك الهاء، ولكنهما (أي: العين والهاء) يجتمعان في كلمتين، لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو قولهم: فحَيّ هَلاً بعمر"[٤].

ومن ثم فإنه يمكن القول، لقد: " أدرك السلف من علماء العربية طبيعة العرب في أبنيتهم، تلك الطبيعة التي تحرص على التوافق الصوتي، والانسجام والتآلف بين حروف الكلمة الواحدة "[٥].

---

(١) ينظر: خصائص لهجتي تميم وقريش د. الموافي الرفاعي ص ٧٣.

(٢) مقدمة الجمهرة ١/ ٩.

(٣) الخصائص١/٥٥، وينظر: مستويات التحليل اللغوي د. عبد المنعم عبد الله حسن ص٩٩.

(٤) مقدمة الجمهرة ١/ ٩.

(٥) مستويات التحليل اللغوي د. عبد المنعم عبد الله حسن ص ٩٩.

Scanned with CamScanner

رابعاً: أشار ابن دريد إلى معرفة الزوائد من الكلمة، والتي جمعها العلماء في قولهم: "اليوم تنساه " وهي الهمزة والألف والياء والواو والميم والنون والتاء واللام والسين والهاء، ثم تطرق إلى كيفية زيادة كل حرف مما سبق، ممثلا لكل[١]... ولسنا بصدد الحديث عن ذلك.

خامساً: انتقل ابن دريد إلى باب " الأمثلة " فوضح صيغ كل من الثلاثي والرباعي والخماسي، ومثّل لكل ما أشار إليه من صيغ "[٢].

سادساً: تناول ابن دريد بناء الأبنية فذكر: أن بناء الأبنية من حروف متباعدة مخرجا هو الأحسن، بينما أشار إلى أنك لا تجد بناء رباعياً خاليا من حروف الذلاقة، وإذا ورد شيء من ذلك فيعد قليلاً أو نادراً كما في قولهم: "عسجد"[٣].

أما البناء الخماسي فلا يعرى من حروف الذلاقة إلا بحرف أو حرفين من حروف الذلاقة، فإن جاء ما يخالف ذلك نحو: دعشق وضعثج وحضافج وصفعهج فإنه ليس من كلام العرب[٤].

سابعاً: بيّن ابن دريد ما فعله العرب في بناء واحد وقوة واحدة كإبدال السين صاداً أو العكس، بشرط أن تتقدم السين على القاف أو الطاء أو الغين، فيقول: " فمثل السين عند القاف والطاء يبدلونها صاداً، لأن السين إذا اجتمعت في كلمة مع الطاء أو مع القاف أو مع الخاء فأنت مخير إن شئت جعلتها صاداً، وإن شئت جعلتها سينا. وليس هذا في كل الكلام[٥]، قالوا: سراط وصراط، وسقر وصقر، وسبخة وصبخة، وسويق وصويق، والغين إذا اجتمعت مع السين في كلمة فربما

---

(١) مقدمة الجمهرة ١/ ١٠.

(٢) السابق ١/ ١١.

(٣) السابق ١/ ١١.

(٤) السابق ذاته.

(٥) يعني: أن ذلك الشرط خاص بحروف: الطاء والقاف والغين والخاء من حروف الاستعلاء، وليس كل حروف الاستعلاء يجوز فيها ذلك كما أن ذلك الإبدال يقتصر فيه عن الوارد عن العرب، والمعنى واحد.

Scanned with CamScanner

جعلوا السين صاداً والصاد سينا، قالوا: سوّغته وصَوّغته "[١].

وهذا النص يجرنا إلى التوقف أمام عدة نقاط، والحديث عنها، وهي:

- أثر إبدال السين بعد بعض حروف الاستعلاء صادا في اللهجات العربية:

كان للعرب حيال مثل ذلك لغتان، فمنهم من يبقى السين على أصلها ومنهم من يبدلها صاداً، يقول ابن منظور فيما يرويه عن الفراء: " ونفر من بلعنبر يصيّرون السين إذا كانت متقدمة، ثم جاءت بعدها طاء أو قاف، أو غين، أو خاء، أو صاداً"[٢].

وتفسير ذلك: " أن الطاء حرف تصنع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت، فقلبت السين صاداً، صورتها صورة الطاء، واستخفوها ليكون المخرج واحدا، كما استخفوا الإدغام، فمن ذلك قولهم: الصراط والسراط، قال: هي بالصاد لغة قريش الأولين، التي جاء بها الكتاب، وقال: وعامة العرب تجعلها سينا[٣] ".

- صدى ذلك وأثره في القراءات القرآنية:

كما كان الشأن فيما لذلك من أثر في اللهجات العربية فقد كان له أثره في القراءات القرآنية، يقرنك ذلك تناول أبي حيان لقوله تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾[٤] إذ يقول: " وروى قطبة بن مالك عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أنه قرأ (باصقات) - بالصاد - وهي لغة لبني العنبر"[٥].

وترى ذلك واضحاً جلياً أيضاً في تناول أبي حيان لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٦] "، إذ يقول: " وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد وحفص وهشام وقنبل والنقاش عن الأخفش- هنا- وأبو قرة عن نافع: يبسط-

---

(١) مقدمة الجمهرة لابن دريد ١/ ١٢، وينظر بعض الأمثلة في لسان العرب كـ (سقع، صبغ، ضخن، صخد، صمخ، سمخ، صوق، صوغ.

(٢) لسان العرب (صقع)، وينظر: البحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(٣) السابق (سرط).

(٤) من سورة (ق) من الآية (١٠).

(٥) البحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(٦) من سورة (البقرة) من الآية (٢٤٥).

Scanned with CamScanner

بالسين-... والباقون بالصاد"[١].

ومثله في تناوله لقوله تعالى: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾[٢]، إذ يعزو القراءة بالسين إلى قنبل ورويس، مشيرا إلى أن إبدال السين صاداً في مثل ذلك هي لغة قريش، وهي الفصحى، ناسبا القراءة بالصاد إلى الجمهور [٣].

** وأما إبدال الصاد زايا فمشروط بأن تكون الصاد ساكنة، فإذا تحركت ردّوها إلى لفظها، كما في قولهم: فلان يَزْدُق (أي يَصْدُق)، فإذا قالوا: صدَق (بتحريك الصاد)، قالوها بالصاد كما يقول ابن دريد [٤].

كان ابن دريد دقيقا فيما ذكره من إبدال الصاد زايا أن تكون الصاد ساكنة، أما إبدال المتحركة فلا، وقد قرئ قوله تعالى: " حتى يُصدر الرعاء "[٥]، ويزْدر[٦]. ومثل ذلك قوله تعالى: " ومن أصدق من الله حديثا "[٧]. حيث قرأها حمزة والكسائي " أصدق " بإشمام الصاد زايا، وكذلك فيما كان مثله من صاد ساكنة بعدها دال، نحو: " تصدية " فأما إبدالها زايا محضة في ذلك فهي لغة كلب " [٨].

وهكذا فإن ابن دريد قد وافق اللغويين تارة، وخالفهم أخرى، واتضح ذلك من خلال تصفحنا لمقدمة جمهرته، ومهما يكن من شيء لاشك أنه أثرى المكتبة العربية بإضافة هذا السفر الجليل، وإن خالفناه في بعض القضايا التي قمنا بإطراحها أثناء المعالجة، وإن كان البعض يتهمه بمخالفات، فهو عالم جليل - طيّب الله ثراه وغفر لنا وله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٤٠٤.
(٢) من سورة (الفاتحة) من الآية (٦).
(٣) البحر المحيط ١/ ٤١ - ٤٢.
(٤) مقدمة الجمهرة ١/ ١٣.
(٥) من الآية (٢٣) من سورة (القصص).
(٦) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢/ ١٢٨.
(٧) من الآية (٨٧) من سورة (النساء).
(٨) البحر المحيط ٣/ ٤٤٣.

Scanned with CamScanner

الخاتمـــة

بعد هذه الرحلة التي عايشناها ومقدمة الجمهرة لابن دريد، يمكننا إيراز أهم النتائج المستخلصة على النحو التالي:

١) جعل ابن دريد الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفا، على ما قال به بعض العلماء فهو غير منفرد بذلك إلا أن في ذلك مخالفة لما ذهب جمهور اللغويين، فهي عندهم تسعة وعشرون حرفا باتفاق.

٢) لم يعد ابن دريد الألف ضمن الحروف المعجمة، وعلته في ذلك: أن الألف تتحول إلى الياء والواو والهمزة، وسار على هذا النهج أبو العباس المبرد، وهذا غير صحيح.

٣) أنه لا صحة لما ورد عن بعضهم أن الظاء والحاء مما يختص بهما العرب، حيث ثبت أن الحاء موجودة في السريانية والعبرية، وفات ابن دريد أن " الضاد " بنطقه التراثي القديم لم نعثر له على مثيل في اللغات الأخرى، ولذلك يتبين عدم الدقة في تصريحه: أن الضاد توجد في لغات العجم قليلاً.

٤) ترك ابن دريد بعض الحروف الفرعية، التي سميت بـــ " غير المستحسنة " أو " المستقبحة " كالضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء.

٥) أغفل ابن دريد الحديث عن الحروف الفرعية المستحسنة، وقد انتظمت ثنايا الصفحات السابقة من هذا البحث تفصيل ذلك.

٦) ذكر ابن دريد أن الحروف المصمتة اثنان وعشرون حرفا، وهذا غير صحيح وصوابه: ثلاثة وعشرون حرفا.

٧) لابن دريد – كأحد القدامى – بعض المقررات الصوتية التي جانب فيها الصواب، وتولت الصفحات السابقة من هذا البحث تفنيد ذلك وشرحه، وانتهت إلى ما خالفت فيه هذه المقررات.

٨) كان لابن دريد بعض توجيهات صوتية غير دقيقة، وتناول البحث مناقشتها، منتهيا فيها إلى ما ارتآه صواباً.

Scanned with CamScanner

٩) لم يكتف ابن دريد بالإشارة إلى مخارج الحروف، وإنما كرر ذلك نقلا عن طائفة من النحويين، ولاشك أن التكرار- هنا- فيه إفادة.

١٠) أصاب النحويون في عدّهم حروف العربية تسعة وعشرين حرفا، مخالفين لما ذهب إليه ابن دريد نفسه.

١١) يلحظ أن النحويين عند إشارتهم إلى ترتيب حروف العربية جعلوا مخرج الهاء أقصى حروف الحلق، وهذا لم يكن دقيقا، والصواب: هو أن صوت الهمزة يخرج من أقصى الحلق، وإن عدّها الخليل ضمن الحروف الهوائية مع الألف والياء والواو.

١٢) إن الهمس والجهر لا علاقة لهما بالمخرج- كما يقول ابن دريد- وإنما الذي له علاقة بالمخرج هو الشدة والرخاوة، حيث إن الشدة متعلقة بمنع النفس، والرخاوة متعلقة بسريان النفس واسترساله كما ذكرنا.

١٣) يبدو اضطراب ابن دريد - أحيانا - ومن مظاهر ذلك: خلطه بين الشدة (بمعنى التضعيف) وبين حروف الشدة المتعلقة بعدم سريان الصوت، بالإضافة إلى أنه جعل " الشين " من الحروف الشديدة، مع أنه عدّها - في موضع آخر - ضمن الحروف الرخوة، وكذلك جعل (الكاف) من الحروف الرخوة، وهذا ليس بصحيح أيضاً، بل هي من الحروف الشديدة، كما أشار إلى ذلك سيبويه وغيره.

١٤) تعليل ابن دريد للحروف المطبقة غير صحيح أو غير دقيق، لأنه أخذه من لفظ الإطباق، والصواب أن ذلك مأخوذ من اسم منطقة الطبق، وهو مؤخر سقف الحنك، فالإطباق صوت لا يخرج من منطقة الطبق، بل يخرج من مقدم اللسان، وتلعب منطقة الطبق دورا هاما في تشكيله.

١٥) أغفل ابن دريد الحديث عن حروف الاستعلاء والاستفال. ولم يفت البحث جبر هذا النقص أو سد هذا الثغر.

Scanned with CamScanner

المصادر والمراجع

١) الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت٣٥١هـ)، تحقيق عز الدين التنوخي، نشر: المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٢) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد - تحقيق: عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة السادسة.

٤) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار حامد هلال - مكتبة وهبة بعابدين - الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م.

٥) إنباه الرواه على أنباه النحاة - جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب المصرية - طبعة سنة ١٩٥٠م.

٦) الانتصار لابن دريد في مواجهة الأزهري د. نور حامد الشاذلي - الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٧) البداية والنهاية - أبو الفداء، الحافظ بن كثير - مكتبة التعارف - بيروت - الطبعة السادسة. سنة ١٩٨٥م.

٨) بغية الوعاة - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - عيسى الحلبي - الطبعة السادسة سنة ١٩٦٤م.

٩) البيان والتبيين - تحقيق: عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت.

١٠) تاريخ آداب اللغة العربية - بروكلمان - ترجمة د. عبد الحليم النجار - طبعة دار المعارف بالقاهرة.

١١) تاريخ بغداد - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ.

١٢) التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه - د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١٣) التطور النحوي للغة العربية - المستشرق الألماني برجشتراسر - تحقيق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٤) تهذيب اللغة - لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦م.

Scanned with CamScanner

١٥) جمهرة اللغة -لابن دريد (أبو بكر: محمد بن الحسن بن دريد) ت٣٢١هـ - دار صادر - بيروت.
١٦) جمهرة ابن دريد في الميزان - د. أحمد أبو العيلة رخا - سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
١٧) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي البيلي - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.
١٨) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.
١٩) خصائص لهجتي تميم وقريش د. الموافي الرفاعي البيلي - مطبعة السعادة سنة ١٩٨٧م.
٢٠) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر- عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٦م
٢١) دروس في علم الأصوات - جان كانتينو- ترجمة: صالح القرماوي بتونس سنة ١٩٦٦م.
٢٢) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة: زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م - مطبوع بهامش المنح الفكرية.
٢٣) رؤية جديدة في المعجم العربي د. فتحي أنور الدابولي - طبعة سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٤) رد الإلحاد في النطق بالضاد -للعلامة علي بن سليمان المنصوري (ت١١٣٤هـ) تحقيق ودراسة د. الموافي الرفاعي البيلي - الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٥) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة - مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات - دار عمار - الأردن - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م.
٢٦) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق: مصطفى السقا وآخرين - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م.
٢٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب- لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - طبعة إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
٢٨) شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي- تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين- دار الفكر العربي- بيروت- لبنان.
٢٩) شرح المفصل - موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي- عالم الكتب

Scanned with CamScanner

- بيروت - لبنان - مكتبة المتنبي بالقاهرة.
٣٠) الصاحبي -لأبي الحسين أحمد بن فارس - تحقيق: السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى البابي الحلبي - بالقاهرة.
٣١) طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب الكافي السبكي - تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو - عيسى الحلبي - الطبعة الأولى.
٣٢) علم اللغة العام / الأصوات د. كمال بشر - دار المعارف - الطبعة السادسة - سنة ١٩٨٠م.
٣٣) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي- طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان سنة ١٩٨١م.
٣٤) فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي- الطبعة الثالثة- سنة ١٩٨٧م.
٣٥) فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة.
٣٦) فن الترتيل وعلومه - الشيخ: أحمد الطويل - مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٣٧) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس - الطبعة السادسة - مكتبة الأنجلو.
٣٨) القاف العربية.. صورها النطقية وإبدالها وتأثيرها في مجاوراتها - دراسة صوتية ودلالية د. عبد الكريم محمد جبل - بحث منشور في مجلة الدراسات الشرقية.
٣٩) الكامل في اللغة والأدب - لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار النهضة للطباعة - الفجالة بالقاهرة.
٤٠) الكتاب - لأبي بشر عمرو بن قنبر - تحقيق: عبد السلام هارون - طبعة دار الأعلمي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م.
٤١) اللباب في تهذيب الأنساب - عز الدين بن الأثير الجوزي- دار صادر - بيروت - طبعة سنة ١٩٨٠م.
٤٢) لسان العرب - جمال الدين محمد بن المكرم بن منظور - تحقيق: لجنة من الأساتذة - دار المعارف بالقاهرة.
٤٣) اللغة - فندريس - ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص - القاهرة ١٩٥٠م.
٤٤) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب

Scanned with CamScanner

- الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م.

٤٥) المحكم والمحيط الأعظم - لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده: تحقيق: عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

٤٦) المختصر في أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل - مكتبة دار الصحابة بطنطا - الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٠م.

٤٧) مخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة - نقد منهجي د. وحيد زايد - الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٤٨) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د: رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٤٩) المدخل إلى اللغة السريانية د. أحمد أرحم هبو - منشورات جامعة حلب - كلية الآداب سنة ١٩٧٥م / ١٩٧٦م.

٥٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر - علي بن الحسين بن علي المسعودي - دار الكتب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م.

٥١) مراتب النحويين - أبو الطيب اللغوي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية.

٥٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي- تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين - دار التراث العربي.

٥٣) مستويات التحليل اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة د. عبدالمنعم عبد الله حسن - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٥٤) معجم الأدباء - أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - سنة ١٩٨٢م.

٥٥) المعجم العربي فكراً وتأليفاً، د. إبراهيم محمد أبو سكين - طبعة: الفاروق الحديثة بالقاهرة - طبعة سنة ١٩٩٦/ ١٩٩٧م.

٥٦) المعجم العربي.. نشأته وتطوره - د. حسين نصار - مكتبة مصر بالقاهرة.

٥٧) المعاجم اللغوية د. إبراهيم محمد نجا- طبعة دار الحديث بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.

٥٨) المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية - محمد عطية الإبراشي، د. علي العناني، ليون محرز - المطبعة الأميرية ببولاق - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

Scanned with CamScanner

٥٩) المقتضب – لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد – تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة – عالم الكتب – بيروت.
٦٠) مميزات لغات العرب – حفني ناصف – جامعة القاهرة– الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م.
٦١) من قضايا المعجم العربي د. الموافي الرفاعي البيلي – الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٦٢) مناهج البحث في اللغة والمعاجم د. عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة للطبع والنشر والتوزيع– الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – جمال الدين يوسف بن تغري بردي – تحقيق: إبراهيم طرخان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – طبعة سنة ١٩٧١م.
٦٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء – أبو البركات: عبد الواحد بن محمد الأنباري – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار نهضة مصر بالقاهرة.
٦٥) النشر في القراءات العشر – لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) – مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٦٦) نظرات في المعاجم العربية د. يحيى الجندي – بدون تاريخ.
٦٧) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير – تحقيق د. طاهر محمد الزاوي، د. محمود الطناحي – دار إحياء الكتب العربية.
٦٨) وفيات الأعيان – ابن خلكان – سنة ١٣١٠هـ بالقاهرة.
٦٩) الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق: هيلموت ريتر – دار النشر: فرانزشتاينر – فسبادن – طبعة سنة ١٩٦٢م.